الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
République Algérienne Démocratique et Populaire

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة أكلي محند أولحاج
- البويرة -
كلية الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي

Ministère de l'Enseignement Supérieur
et de la Recherche Scientifique
Université Akli Mohand Oulhadj - Bouira -
ⵜⴰⵙⴷⴰⵡⵉⵜ ⴰⴽⵍⵉ ⵎⵓⵃⴻⵏⴷ ⵓⵍⵃⴰⵊ - ⵜⵓⴱⵉⵔⴻⴹ -
Faculté des Lettres et des Langues

التخصص: أدب حديث ومعاصر

الاغتراب في ديوان "إلى وجهي الذي لا يراني" لرابح ظريف

مذكرة مقدمة لاستكمال متطلبات الحصول على شهادة الماستر

إعداد الطالبتين:

- وسيلة دحماني
- رزيقة بوفركاس

إشراف الأستاذ:

مصطفى ولد يوسف

لجنة المناقشة:

1-	جامعة البويرة	رئيسا
2- الأستاذ مصطفى ولد يوسف	جامعة البويرة	مشرفا ومقررا
3-	جامعة البويرة	مناقشا

السنة الجامعية:

2020 -2019

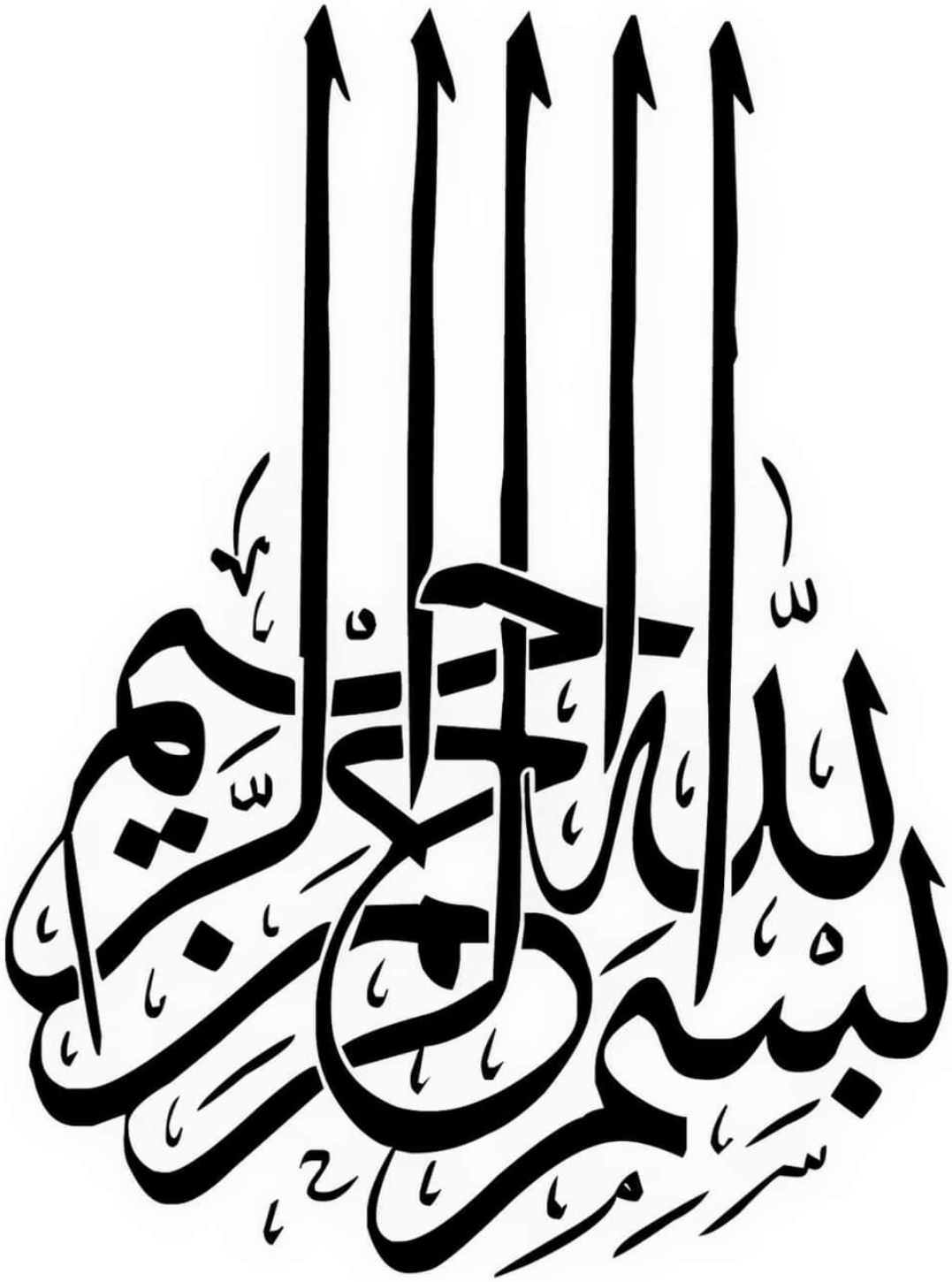
بسم الله الرحمن الرحيم

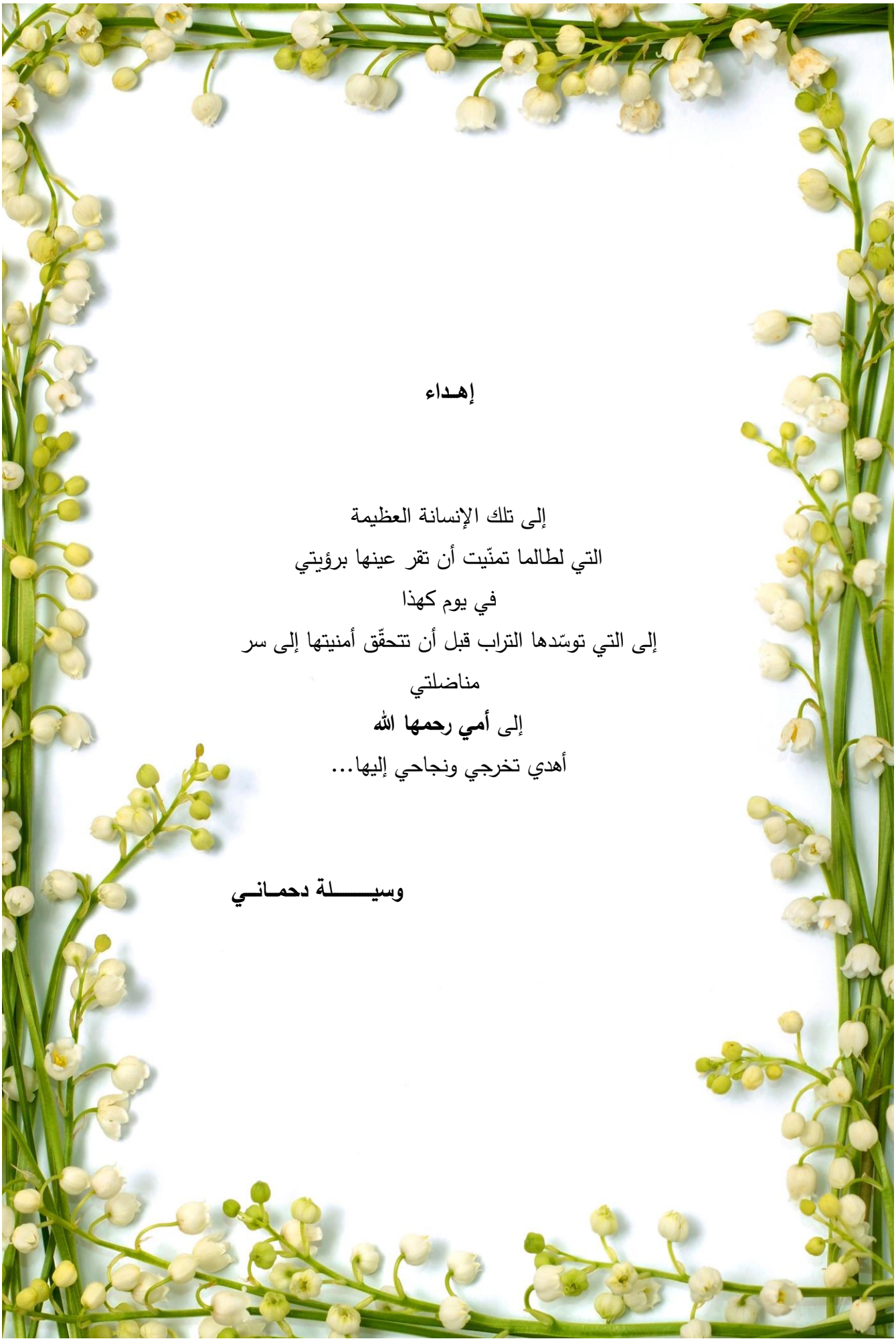

إهـداء

إلى تلك الإنسانة العظيمة

التي لطالما تمنّيت أن تقر عينها برؤيتي

في يوم كهذا

إلى التي توسّدها التراب قبل أن تتحقّق أمنيتها إلى سر

مناضلتي

إلى **أمي رحمها الله**

أهدي تخرجي ونجاحي إليها...

وسيـــــلة دحمـانــي

إهـداء

اللهم صل وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه خير صلاة وتسليم

واجعلنا اللهم بهذا العمل بالغين وحائزين لرضاك وعطفك

أهدي ثمرة جهدي إلى أطيب وأرق قلب في الوجود

والتي بذكرها ينقلب الحزن إلى فرح وسمة

إلى من تفرح لنجاحي وسعادتي

إلى من ضحّت ومازالت تضحي وتتعب.

أمي الغالية

إلى القلب الذي رعاني ومن فيضه وحنانه سقاني

علمني أن الحياة ليست أحلاما ترجى بل حقيقة تُبنى

إلى قدوتي وسندي في الحياة

أبي الغالي

إلى أعز صديقة وأخت ورفيقة دربي التي ثابرت وبذلت مجهودا

أشكرك وأقدر تعبك إلى زميلتي في البحث

وسيلة دحماني

رزيـقة بـوفركـاس

شكـر وعرفـان

نشكر الله تعالى ونحمده على التوفيق

ونتقدّم بالشكر الجزيل والتقدير إلى الأستاذ الفاضل المشرف

ولد يوسف مصطفى

ونتقدم بالشكر والعرفان إلى كل من ساعدنا في انجاز هذا البحث

من قريب ومن بعيد

ونسأل الله أن يجزي الجميع خير الجزاء.

وسيـلة و رزيـقة

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم والصّلاة والسّلام على أشرف المرسلين سيّدنا محمد الأمين:

يعدّ موضوع الاغتراب من المواضيع الهامة التي نالت حيّزا كبيرا في الدّراسات الأدبية منذ القدم، فالشاعر العربي القديم في مناجاته للطلل وبكائه على الديّار إنّما أراد أن يجسّد شعوره بالاغتراب المتمثل في حنينه للزمن الجميل أو اغترابه الاجتماعي في بحثه على الانتماء أو اغترابه الفكري الذي أنتج إبداعا فاز باهتمام الآخر وإعجابه.

فالاغتراب من الموضوعات المهيمنة في الشعر العربي عامة والجزائري على وجه الخصوص، فمن المنطلق أن الاغتراب في الشعر الجزائري مختلف مكانيا وثقافيا وذاتيا، فالشاعر كائن مبدع يعيش في العادة اغترابا متعددا بسبب تعدد الظروف فالمكان الذي يعيش فيه و بالتالي يتأثر أكثر من غيره، و يتحذ من كتاباته و أشعاره متنفسا للتعبير عن أحواله أو حال المجتمع بصف عامة ،

ظاهرة الاغتراب في جميع الأحوال إنّما هي نابعة من الإحساس الصادر عن ذات شاعرة مبدعة، حزينة، قلقة، تسعى إلى تغيير الواقع المؤلم و السعي نحو واقع مثالي خالي من المشاكل.

ما لفت انتباهنا كثرة ألفاظ ومعاني الغربة والاغتراب في الشعر الجزائري القديم والحديث وأكثرها في المعاصر ، فأردنا دراسة هذه الظاهرة وأخذنا ديوان "إلى وجهي الذي لا يراني" لرابح ظريف كنموذج لهذه الدراسة، وطبعا لا يمكننا الشروع في أي دراسة دون تحديد الهدف، وهدفنا من خلال هذه الدراسة محاولة الإجابة عن الإشكاليات التالية:

ما هو مفهوم الاغتراب؟ وما هي أنواعه؟، وهل الغربة والاغتراب مترادفان؟ وكيف تجلّت ظاهرة الاغتراب في الشعر الجزائري؟، وما هي مظاهر الاغتراب في ديوان "إلى وجهي الذي لا يراني"؟

وتأسيسا لما سبق يمكننا تلخيص أسباب اختيارنا لظاهرة الاغتراب في الشعر الجزائري خاصة المعاصر حيث شكّلت هذه الفترة نقاط تحوّل في الجزائر في مختلف المستويات، والتي تتضامن كلها لتعكس الواقع الأدبي الشعري الجزائري:

- الحضور المكثّف لمفاهيم الاغتراب في الشعر الجزائري.
- قلّة الدراسات النقدية التي تناولت الاغتراب في الشعر الجزائري المعاصر.

فارتأينا أن نسقط فكرة الاغتراب على الشعر الجزائري "ديوان وجهي الذي لا يراني" "لرابح ظريف" عسى أن نكتشف مظاهر وتجليات ظاهرة الاغتراب في الأدب المعاصر، فجاء عنوان بحثنا: "الاغتراب في ديوان وجهي الذي لا يراني لرابح ظريف".

ولا يخلو أيّ بحث من المصاعب ولعل أكبر عائق وجهناه هو عمق وشاسعة موضوع الاغتراب، فطبيعة هذه الظاهرة المعقّدة لا يمكن تناولها من جانب كل العلوم الإنسانية.

ولقد اتّبعنا في هذا البحث المنهج التحليلي الوصفي، ولكن لا يمكن أن ننكر قصور المنهج الواحد عن الإلمام الكامل بجوانب البحث، لذلك ارتأينا أن نزاوج بين المناهج.

وقد تم تقسيم هذا البحث إلى مدخل وفصلين، كل فصل ينقسم إلى مباحث، تطرّقنا في المدخل إلى ضبط مقارنة بسيطة بين مفهوم الغربة والاغتراب.

والفصل الأول بعنوان مفهوم الاغتراب، عوامله وأنواعه. تناولنا في هذا الفصل ثلاثة مباحث، المبحث الأول عن مفهوم الاغتراب لغة واصطلاحا من منظور الفلاسفة والتراث العربي الإسلامي، كذلك في الشعر العربي من خلال إدراج الآراء والتصورات التي انطلق منها مجموعة من الفلاسفة والمفكّرين العرب والغربيين في تعاطيهم هذا المفهوم، والمبحث الثاني تناولنا فيه أنواع الاغتراب الأكثر شيوعا مثل الاغتراب الذاتي والاجتماعي والسياسي وهي أكثر الأنواع في الشعر الجزائري نتيجة الظروف التي مرّت على الجزائر وشعرائها. أمّا المبحث الثالث تطرقنا بشكل خاص إلى ظاهرة الاغتراب في الشعر الجزائري حيث تحدثنا عن سيرورة الشعر الجزائري من الحديث ثم المعاصر عبر مراحله في الستينات والسبعينات والثمانينات والتسعينات. وأهم الظواهر المتعلقة بالشكل والمضمون.

ولعل الهدف من هذا المبحث هو محاولة الوقوف عند العوامل الاجتماعية والاقتصادية والسياسية وغيرها، التي ساهمت بشكل أو بآخر في توليد مشاعر الاغتراب لدى الشاعر الجزائري.

أمّا الفصل الثاني بعنوان "تجليات الاغتراب في ديوان إلى وجهي الذي لا يراني" للشاعر 'رابح ظريف'، قدمنا في هذا الفصل لمحة عن الديوان "إلى وجهي الذي لا يراني" ومراحل تشكيله، ثم خصّصنا جزءا للتطبيق المنهجي عليه من خلال دراسة تحليلية لاكتشاف ملامح الاغتراب في قصائد الشاعر 'رابح ظريف'.

ثمّ ختمنا بحثنا بحوصلة ما توصّلنا إليه من نتائج انجازنا للبحث وما توصّلنا إليه أنّ تجربة الاغتراب في الشعر الجزائري تجربة ايجابية نوعا ما، ساهمت في تفجير قريحة الشاعر الجزائري، وساهمت في نقل تطلعاته بمستقبل أفضل.

كما ألحقنا في الأخير بحثنا بملحق بسيط كان عبارة عن سيرة ذاتية للشاعر الجزائري "رابح ظريف".

مدخل

بين الغربة والاغتراب

الاغتراب ظاهرة ملازمة للوجود الإنساني "فمنذ أن وطأت قدما الإنسان الأرض، وبدأ الصراع بين قابيل وهابيل، الذي تلاه الندم والحيرة، وتأنيب الضمير، والإنسان يعيش رحلته مع الاغتراب والذي لا يكاد يخلو منه مجتمع من المجتمعات، فهو البنية العميقة له، بل انه دافع من دوافعه الأساسية، يختلف من إنسان إلى آخر ومن مجتمع إلى أخر لأنه يتكون بطبيعة صاحبه وبالمجتمع وما يحكمه من أنظمة ومؤسسات وبطريقة العصر وما يحتويه من قيود وأعراف ومعارف"[1].

مفهوم الاغتراب صعب التحديد وان اتفقت المعاجم العربية على مفهومه فهو البعد والنوى والغربة عن الوطن فنجد الخليل بن أحمد الفراهيدي في معجمه يشرحه فيقول "والغربة: الاغتراب عن الوطن وغَرُبَ فلان عنا يغرب غربا أي تنحى وأغربته وغربته أي نحّيته، والغربة: النوى البعيد"[2].

فالغربة هي "الذهاب والتّنحي عن الناس، وقد غرب يغرب غربا وغرب واغرب ...وفي الحديث أن النبي (ص) أمر بتغريب الزاني اذا لم يُحصن و هو نفيه من بلده"[3].

أما فيما يخص معنى الغربة والاغتراب "يمكن ايجازه على هذا النحو: أولا هناك تمييز بين نوعين من الغربة يمكن أن نسمّيهما بغربة القهر، وغربة الذات. فالغريب هو من كان بعيدا عن وطنه وأهله، ومن كان في غير قومه وأرضه. والمغترب: هو من قصد الغربة (اغترب: نكح في الغرائب) وهو افتعال فالغربة"[4]

---

[1] : سنوساوي عمارية: الاغتراب في الشعر الصوفي الجزائري، مذكرة الماجستير، جامعة أبو بكر بلقايد، سنة 2013/2012 , ص:8

[2]: الخليل بن أحمد الفراهيدي، معجم العين، المجلد 3، تحقيق: عبد الحميد الهنداوي، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2003م، ص 271.

[3] : ينظر: خشروم عبد الرزاق، الغربة في الشعر الجاهلي، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، دط ، 1982م، ص 11.

[4] : المرجع نفسه ص:14

ويتضح أن "الشعور بالاغتراب والعجز ينشأ ويتزايد عندما يشعر الفرد بسيطرة عوامل خارجية وتحكّمها في أفعاله، وبالتالي يعتقد أن أفعاله خارجة عن إرادته في أفعاله، ، وتقع تحت تأثير هذه العوامل. أما في حالة ما إذا كان الفرد موجّها ذاتيا أو داخليا، فإنه يستطيع التحكم في بيئته وأفعاله. وهذا يفسر كيف أن الاغتراب والعجز يربطان بالتّحكم الدّاخلي سلبا، وبالتحكم الخارجي إيجابا"[1]

"ويتعدى الاغتراب إلى انهيار العلاقات الاجتماعية والشعور بالوحدة وانعدام علاقة المحبة مع الآخرين. ومنه فالاغتراب شعور بالعجز وخيبة الأمل في إمكانية التأثير في القوى المسيطرة عليه والشعور بلا حول له ولاقوه ولا يستطيع التأثير في القوى الاجتماعية التي يواجهها أو التأثير في مجرى الأحداث أو صنع القرارات".[2]

و للاغتراب نتائج وخيمة سواء على الذّات الفردية أو على المجتمع فتُنتج "حالات التمرد والعصيان والخروج عن الأعراف والقيم، ورفض الهوية الثقافية والنظام القيمي للمجتمع، كما تظهر سلوكيات غير مألوفة كالانسحاب وعدم المشاركة في المسؤولية الاجتماعية والتمركز حول الذات، إضافة غلى ذلك الانغلاق حول الأهداف والمصالح الشخصية، وفي الاغتراب رفض القوانين والمعايير الاجتماعية، فيلازمه شعور بالقلق والاضطراب وعدم التوافق الاجتماعي، ويدعو الشعور بالعجز والعزلة والرفض والكراهية إلى التوتر والنفور واختلال الشعور بالطمأنينة"[3].

و الاغتراب أنواع"ويمكن القول بأن كل أنواع الاغتراب تدخل ضمن هذين النوعين من الاغتراب : الاغتراب داخل الوطن (اغتراب عن المجتمع)و الاغتراب عن الوطن (اغتراب الهجرة)"[4] الاغتراب

[1] : عبد اللطيف محمد خليفة ،دراسات في سيكولوجية الاغتراب: ، دار غريب للطباعة و النشر و التوزيع، القاهرة، دط، 2002 ص :233.

[2] : فتحي رشيد محمد شديفات ،الاغتراب في شعر الصعاليك واللصوص حتى نهاية العصر العباسي الأول: رسالة ماجيستر: ، تحت إشراف محمود درابسة جامعة اليرموك سنة 2006 ص 14.

[3] : المرجع نفسه: ص 14.

[4] :لزهرمساعدية ،نظرية الاغتراب من المنظورين العربي و الغربي ،دار خلدونية للنشر و الطباعة،الجزائر،ط1، 2013،ص09

عن الوطن قاس لأن الإنسان يفارق أرضه وأهله وأصدقائه فيشعر بالوحشة والمرارة، والاغتراب داخل الوطن أشد أنواع الاغتراب قسوة، إنه يعني الفقر والعوز والحرمان كما أنّ الغربة سوء الحظ والإهمال من المجتمع والشعور بالظلم والكراهية. يتبعه الشعور بالخيبة و العجز .

أما الاغتراب عن الذات وعن العالم كاغتراب المتصوفة " حينما يحس الإنسان بالوحدة و الغربة و العجز أثناء انقطاع الروابط بينه و بين مجتمعه"[1]

فالاغتراب الذاتي غالبا ما يرتبط باغتراب الصوفية "فقد أجمع المتصوفة على أن النفس هي عنصر الشر في الإنسان، وهي مستقر الشهوة والهوى، لذلك عمل الصوفية عل مجاهدة هذه النفس بطرق عدة:أهمها الصمت والعزلة و الخلوة ... و أيضا تطهير النفس من الأخلاق الوضيعة و المذمومة لإستبدالها بالأحسن ،و هكذا يتم لهم مخالفة النفس و بالتالي الإنفصال عنها ، و هذا اغتراب شديد"[2].

"أمّا القسم الآخر فقد اغترب عن الدنيا من آمن بالله حق الإيمان، فيعيشون مشاعر الاغتراب عن القبيلة وعن الوطن الأم، فهو كالغريب الذي يفر ولا يستقر ويشتاق إلى بلده ويحن إلى الرجوع إليه، والتزود بما يوصله إليه، وهو لا يجزع عن العقبات التي تعترضه ويحن إلى وطنه الذي أخرج منه، فيغترب حين يحن إلى الماضي والذكريات ويعجز عن التآلف مع واقعه"[3].

لا يمكن الحديث عن الاغتراب دون الحديث عن الغربة فأول ما يتبادر في الذهن أنهما يحملان نفس الدلالة، و أنهما مترادفان ، لكن من خلال الدراسات النقدية فقد وجد فرق بينهما ، فالاغتراب حالة مستمرة وليست مؤقتة ، تلازم الإنسان سواء أكان بين أهله وذويه، أو في وطنه وفي حالة الهجرة إلى الأوطان الأخرى،أما الغربة فهي تعنى أكثر بالغربة المكانية ، أي بعيد على وطنه و أهله .

[1] : لزهرمساعدية ،نظرية الاغتراب من المنظورين العربي و الغربي،مرجع سابق ،ص 101 .
[2] :نفس المرجع،ص 108.
[3] : فتحي رشيد محمد شديفات ،الاغتراب في شعر الصعاليك واللصوص حتى نهاية العصر العباسي الأول مرجع سابق ،ص 14.

و على العموم،" فإن الغربة و الاغتراب في المعاجم العربية تدل على النزوح عن الوطن ،أو البعد و الانفصال عن الاخر"[1]

فمصطلح الغربة عند العرب متعلق بالمكان أكثر من الزمان، فهو يعني فراق الأهل والأبناء والبعد عن الوطن والشعور بالحنين نتيجة الوحدة والوحشة، والشوق إلى العودة إليه، مهما كانت أسباب تلك الغربة سواء أسباب سياسية أو اجتماعية .

و بالتالي فالغربة عكس الاغتراب تماما فهي حالة مؤقتة تنتهي بانتهاء الاستعمار و الرجوع إلى الوطن ومثال ذلك: عودة الغريب لوطنه ومجتمعه ودينه ولغته، أماّ بخصوص الاغتراب فهو حالة مستمرة وإحساس دائم بالوحدة والانعزال عن الجماعة.

أ/ دوافع الاغتراب:

من أسباب و دوافع هذه الظاهرة سواء عند الشعراء أو الإنسان العادي هو ما تعلق بالإنسان نفسه، فهو الدافع الرئيسي لاغترابه، من بين هذه أسباب و عوامل هذه الظاهرة نذكر:

عوامل اجتماعية: الإنسان بطبعه كائن اجتماعي فهو فرد من المجتمع يؤثر ويتأثر به، وبالتالي مجبر في بعض الأحيان أن يتقبل الأوضاع المحيطة به: مثل العادات والتقاليد والأعراف التي يسير عليها "ولما تختل الموازين و تتبدل الأعراف و تنحرف القيم الأخلاقية و الاجتماعية، و تطغى عليها القيم الفاسدة و العادات الغريبة و الشاذة تشعر النفوس النبيلة الأصلية بالاغتراب عن الناس الذين عمهم الفساد و تلتجئ إلى التعبير عن إغترابها بكلمات رفض أو هجوم"[2] فبرفضه لتلك العادات

[1]: يحي الجبوري، عميد البحث العلمي، الحنين والغربة في الشعر العربي، الحنين الى الأوطان، جامعة اريد الاهلية: الأردن، ط1، س 1428ه/ 2008م ،ص 17.

[2] : لزهر مساعديه، نظرية الاغتراب من المنظورين العربي والغربي ،مرجع سابق،ص96.

فهو مجبر أن يعيش عزلة هو بنفسه اختارها أو فرضت عليه من قبل المجتمع "والشعور بالعزلة الحادة يميل الى أن يجعل كل شيء اخر يبدو غريبا ومعاديا، وحينئذ يشعر الانسان أنه غريب متوحّد لا وطن روحي له"[1].

من خلال هذا القول فإنّ الإنسان إذا تعرض للعزلة فإنه يفقد هويته يعاني الضياع مجتمعه.

عوامل دينية : يعتبر الدين من أكثر الجوانب ارتباطا بالإنسان خاصة من جانبه الروحي، وعند أداء العبادات والمعتقدات يحس بالطمأنينة والسكينة، "فالمسلم لا يشعر بالهوان و القلق لأنه يعلم أن الله معه و يستجيب له إذا دعاه ... ذلك لأن الإيمان العميق يغمر صاحبه بالسعادة و الطمأنينة و الاستقرار النفسي"[2] وحين يحس الإنسان بالاغتراب دينيا غالبا ما يتعلق الأمر بما يعانيه الشعوب المستعمرة من محاولة اغتيال لمعالم دينهم من قبل الاستعمار الذي يهدف إلى مسح هويته المتعلقة بالدين واللغة والثقافة، مثل ما حدث في الجزائر إبّان الاستعمار الفرنسي (سياسة التنصير).

"كما يتعرض المسلم في بعض الأحيان لعم التوازن في القدرة العقلية و العقائد لديه ،ويقع فريسة للاضطرابات النفسية و هنا يحتاج المسلم إلى أخيه المسلم القادر على المساعدة ليساعده على احتواء مشاعره والوصول إلى مرحلة التوافق العقلي و الروحي و النفسي و الاجتماعي"[3]

عوامل سياسية: الأسس التي يبنى عليها كل مجتمع يجب أن تكون من خلال التسيير الجيد لموارده، وأن يعيش الإنسان في حياة تضمن له حقوقه وواجباته لكن ما يحدث فالواقع شيء مختلف تماما "فقد أصبح واضحا أن مؤسسات الدولة أصبحت تتصرف و كأن الشعب خلق لخدمتها و الامتثال

---

[1] : نيقولاي برديافف، نصوص فلسفية، العزلة والمجتمع، تر: فؤاد كامل عبد العزيز، مراجعة علي أحمد أدهم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، دط، 1982م، ص115.

[2] :صلاح الدين أحمد الجماعي ،الاغتراب النفسي و الاجتماعي و علاقته بالتوافق النفسي و الاجتماعي، عمان، دار زهران للنشر و الطباعة،ط1، 2010م،ص115 .

[3] : نفس المرجع :ص 115 .

الطوعي أو القسري لإرادتها التي هي فوق كل إرادة"[1] الشيء الذي ولد فجوة بين المجتمع و السياسة القائمة "فالإنسان في هذا المجتمع لا يمكن أن يتقبل وضعه ،كما لا يجرؤ على أن تكون له أحلام و طموحات إلى تجاوز أوضاعه و تتصل بحالة الاغتراب هذه مشكلات التفكك الاجتماعي ،والسياسي وخلخلة القيم و التبعية والطبقية..."[2] و لا يمكن أن ننكر أن الطبقة المثقفة من سياسيين و صحافيين و أدباء هم الفئة الأكثر تعرضا لهذا النوع من الاغتراب كما أنهم من أكثر المعارضين لسياسة الدولة من خلال مقالاتهم و أشعارهم، وغالبا ما تفرض عليهم السلطة الصمت و النفي أو السجن، "وبذلك لا تصبح لديه القدرة على إصدار قرارات مؤثرة في المجال السياسي وكذلك يغيب على المعايير التي تشكل النظام السياسي"[3]، هذا ما حدث للشاعر رابح ظريف مؤخرا الذي أُعتقل بسبب منشور نشره في صفحته الخاصة في مواقع التواصل الاجتماعي،

[1] :حليم بركات ،الاغتراب في الثقافة العربية متاهات الانسان بين الحلم و الواقع ،مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت،لبنان،ط 1، 2002، ص 91 .

[2] :نفس المرجع،ص92 .

[3]: محمد حضر عبد الرحمان، الاغتراب والتطرف نحو العنف، دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة، مصر، دط، دت، ص 35.

الفصل الأول:

- مفهوم الاغتراب وعوامله
- أنواع الاغتراب
- الاغتراب في الشعر الجزائري

1: مفهوم الاغتراب:

لتحديد مفهوم أي مصطلح لابد من المرور عبر مرحلتين اثنتين: الأولى تُعنى بالجانب اللغوي والثانية بالجانب الاصطلاحي وكما تحدثنا فالمدخل على أن المعاجم قديمها وحديثها تجمع على أنّ الاغتراب أو الغربة معناه البعد أو النزوح عن الوطن، ولتوضيح ذلك أكثر ارتأينا أن نورد ما قاله ابن منظور في هذا الإطار على اعتبار أنّ تعريفه مفصل وشامل كثيرا مما جاء في المعاجم الأخرى التي تقدّمته.

يقول 'ابن منظور' في "لسان العرب": الغرب: الذهاب والتنحي عن الناس، وقد غَرَبَ عنا يغرِّبُ غرباً وغرّبَ وأغرب. والغربة والغرب: النوى والبعد، وقد تغرب... ويقال: غرب في الأرض وأغربا إذا أمعن فيها... ونوى غربة بعيدة، وغربة النوى بُعدُها "[1].

كما ورد في القاموس المحيط مادة (غ ر ب) قول 'الفيروز آبادي' "الغرب: المغرب والتنحي. النوى والبعد، كالغربة وقد تَغرب بالضم: النزوح عن الوطن، كالغربة والاغتراب والتغرّب، والاغتراب إتيان الغرب والإتيان بالغرب.. والإمعان في البلاد كالتغريب..."[2].

"لا يغير علماء اللغة بين مفردات 'الغربة' و'الاغتراب' والتغرب' بل هي عندهم بمعنى واحد وهي النزوح عن الوطن، ولكن نلاحظ أنّ بعض الباحثين يصطنعون التفرقة بين 'الغربة' و'الاغتراب' وبين 'الغريب' و'المغترب'"[3]، ومهما كان الأمر فإننا سنستعمل في هذه الدراسة "الغربة" والاغتراب بوصفيهما مترادفين.

---

[1] :فريد أمعضشو: الاغتراب فالشعر الإسلامي المعاصر،ط1، 1436هـ/2015م،ص:06

[2]: المرجع نفسه:ص 05

[3]: أمثال أحمد السبيعي، تقديم كتاب "الغربة والحنين في الشعر الأندلسي" لفاطمة دحدح ، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ط1، 1993م، ص 7.

هذا عن الكلمة في الأصل العربي "أما فاللغة الإنجليزية: (aliénation) والفرنسية (aliénation) ، و اصلهما من الكلمة اللاتينية ألياناتو (alienatio) و يشير الاغتراب في تلك اللغات الى حالة تحول الكائن الى خارج ذاته ،أو تجاوز ذاته، و قد استخدمت كلمة الاغتراب فالعلاقات الإنسانية لتدل على الإحساس الذاتي بالغربة ،أو الانسلاخ(détachement)سواء عن الذات أو عن الاخرين"[1]

وإذا انتقلنا من اللغة ودخلنا إلى الاصطلاح فإن مفهوم الاغتراب يتلبس معاني مختلفة وذلك حسب ناسجه ومستعمله، ومحلله من رجال دين وفلاسفة وشعراء وغيرهم، فلا يزال مصطلح الاغتراب غامضا ونادرا ما يتفق الباحثون على تحديده ويذهبون مذاهب في تعريفه، ويخلطون بين أنواعه ومصادره.

الاغتراب عند الفلاسفة:

إذا نظرنا للاغتراب من الناحية الفلسفية فإننا نجد له وجوه مختلفة، ويختلف مفهومه باختلاف الفلاسفة، فكل حسب وجهة نظره وفعالية المصطلح في حياة الفرد والمجتمع.

الاغتراب عند "أفلاطون الذي اغترب عن أخلاقيات عصره و مجتمعه، ودعا إلى إقامة جمهورية فاضلة يحكمها الفلاسفة حتى يتحقق العدل – فكان يقصد بالاغتراب ابتعاد الناس عن عالم المثل و عيشه في عالم أرضي طارئ بدون إرادته..."[2]

أما 'كارل ماركس'" فقد ربط الاغتراب بالواقع الاقتصادي وأسبغ عليه طابعا امبريقيا و سوسيولوجيا. فالاغتراب، في نظر ماركس متجلّ في حالات اغتراب العامل عن نتاج عمله حتى ليغدو هذا الإنتاج

[1] : يحي الجبوري: عميد البحث العلمي : الحنين و الغربة في الشعر العربي، الحنين الى الأوطان ،جامعة اريد الاهلية:الأردن،ط1،س 1428هـ/ 2008م ص 16.

[2] : فريد أمعضشو، الاغتراب في الشعر الإسلامي المعاصر مرجع سابق، ص 13

غريبا و مستقلاّ عن مُنتجه ،... و يرى ماركس أن اللجوء إلى الثورة ومحاربة القائمين على النّظام السائد المستغل هو السبيل الأقوم إلى تجاوز حالات الاغتراب المعيشة"[1].

كما نجد مفاهيم كثيرة تدور في محتوى الاغتراب لفلاسفة آخرين:

فنجد أيضا هيجل الذي قيل عنه: "أبا الاغتراب، وذلك بالنظر إلى ريادته في هذا المضمار، وإسهامه الواضح في دراسة الاغتراب، ومحاولة معالجته بالطرق التي تتلاءم وطبيعة فلسفته "[2]

أما سارتر فيقول "إن ميلي الطبيعي يتمثل في رغبتي في أن أرفض من قبل هذه الذات الغريبة،و محاولة انتزاع نفسي بعيدا عن العلاقة بالآخر الذي يكشف هذه الذات ،ولي في ذلك محاولة لتجنب الاعتراف بها، لكن باختياري لذاتي ذاتا منتزعة بعيدا عن الآخر"[3]

كم استخدم كذلك "مصطلح الاغتراب في كتابيه: نقد العقل الجدلي، والوجود و العدم ،واستخدامه لمفهوم الاغتراب في نقد العقل الجدلي يتعلق بظهور تموضع ذات الفرد بوصفها شيئا غريبا و معاديا له، بينما مفهومه للاغتراب في الوجود و العدم بصدد معايشة الفرد لذاته شيئا وليس ذاتا من خلال وساطة فرد آخر"[4].

1. الاغتراب في المفهوم الديني:

تتفق الأديان الثلاثة الإسلام والمسيحية واليهودية على أن الإنسان غريب في هذه الدنيا وأن شعوره بالاغتراب متأصل في ذاته ففي العهد القديم "قال فرعون ليعقوب:كم هي سنين حياتك ؟فقال يعقوب

[1] : ، فريد امعضشو ، الاغتراب في الشعر الإسلامي المعاصر مرجع نفسه ، ص15.

[2] :المرجع نفسه، ص14

[3] :محمود سليم هياجنة الاغتراب في القصيدة الجاهلية دار الكتاب الثقافي ،الأردن، دط،2005م،ص 28.

[4] :المرجع نفسه،ص29.

أيام سني غربتي مائة وثلاثون سنة "[1] نجد كذلك: "غريب أنا في الأرض، لا تخف عن وصاياك. انسحقت نفسي شوقا إلى أحكامك في كل حين "[2]،

كما جاء في العهد الجديد "قول بطرس:أطلب إليكم كغرباء و نزلاء أن تمتنعوا عن الشهوات الجسدية ويقول: فسيروا زمان غربتكم أي حياتكم بخوف أي أن حياة الانسان على الأرض هي حياة اغتراب عن الله"[3]

فهذا الاختلاف بين الروح والجسد ينشئ صراعا يتولد عنه شعور بالاغتراب عند الإنسان، والذي لم يبرحه منذ أن نزل آدم –عليه السلام– إلى الأرض بعد أن عصى ربه، قال تعالى: ﴿فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهُمَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُم لِبَعْضٍ عَدُو وَلَكُمْ فِي الأَرْضِ مُسْتَقَرٌ وَمَتَاعٌ إِلَى حِيْن﴾[4]، المتاع ليس بدائم وكل شيء معرض للزوال ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَان وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الجَلَالِ وَالإِكْرَام﴾[5].

فهذا الذهاب إلى القبر والتنحي عن المكان المألوف هو ما يجعل من الدنيا دار غربة، فالإنسان "من حين استقرت قدمه في هذه الدار وهو مسافر فيها إلى ربه تعالى ثم قد جعلت الأيام والليالي مراحل سفره، وكل يوم وليلة مرحلة من المراحل، فلا يزال يطويها مرحلة بعد مرحلة حتى ينتهي سفره"[6].

---

[1] :صلاح الدين احمد الجماعي ،الاغتراب النفسي و الاجتماعي ،مرجع سابق ،ص40.

[2] : العهد القديم، سفر المزامير، المزمور المائة والتاسع عشر.

[3] : صلاح الدين احمد الجماعي ،الاغتراب النفسي و الاجتماعي ،مرجع سابق ،ص40.

[4] : سورة البقرة، الآية 36.

[5] : سورة الرحمان، الآية 26، 27.

[6] :سنوساوي عمارية : الاغتراب فالشعر الصوفي، مرجع سابق ص11.

فهذه النفس المغتربة عن موطنها لا ترتاح إلا إذا رجعت إليه، قال تعالى: «يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ المُطْمَئِنَّةُ ﴿26﴾ ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ ﴿27﴾ رَاضِيَّةً مَرْضِيَّةً ﴿28﴾ وَادْخُلِي فِي عِبَادِي ﴿29﴾ وَدْخُلِي جَنَّتِي»[1].

فإحساسنا الدائم بالرحيل في أية لحظة يجعلهنا نعيش القلق وخاصة إذا كان ما حولها مناقض لها، وهذه الغربة التي مدحها الإسلام وأثنى عليه من يتمسك بدينه في زمن الغربة والاغتراب.

كما ورد هذا المصطلح في عدد من الأحاديث النبوية الشريفة، قال النبي صلى الله عليه وسلم في وصف اغتراب الإسلام والمسلمين: "بدأ الإسلام غريبا، وسيعود غريبا فطوبى للغرباء"[2]، فحال الإسلام في أول عهده كان غريبا، حيث وقف الكفار ضد الإسلام والمسلمين، الذين عانوا من الاضطهاد والتنكر، وأخرجوا من ديارهم فازدادوا غربة على غربتهم، وصدق قول الله تعالى فيه: ﴿الَّذِيْنَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبَّنَا اللهُ﴾"[3].

" فلا غرابة أن يدعو الإسلام إلى الغربة بمعناها الايجابي، حيث حثهم على أن يكونوا في هذه الدنيا غرباء، وألا يتشبثوا بها ويجعلوها موطنا لهم يقول: كن في الدنيا كأنك غريبا أو عابر سبيل"[4]، "لقوله تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَان﴾"[5]

" وهناك نوع آخر عُرف عند المتصوفة سمي الاغتراب الهمة، وهي غربة طلب الحق و هي غربة العارف فغربة العارف هي غربة الغربة ، لأنه غريب الدنيا و الآخرة وعُدت كذلك لأنه غادلر الصفات البشرية و تلبس الصفات الإلهية "[6]

[1] : سورة الفجر، الآية 27 إلى 30.

[2] : صلاح الدين احمد الجماعي ،الاغتراب النفسي و الاجتماعي ،مرجع سابق،ص44.

[3] : سورة الحج ، الآية 40.

[4] : موسى كراد، الاغتراب فالشعر الجزائري الحديث في العقدين الاخرين من القرن العشرين، رسالة دكتوراه، جامعة الحاج لخضر، باتنة، السنة الدراسية 2017/2016م ص15.

[5] : سورة : الرحمان: الآية : 26

[6] : صلاح الدين احمد الجماعي ،الاغتراب النفسي و الاجتماعي ،مرجع سابق،ص 43.

فمن الناحية الدّينية الإسلامية أخذ الاغتراب معنى التصوف والزهد والشوق الى الله وهذا يكون بالابتعاد عن الحياة ومظاهرها الاجتماعية الزائفة والتفرغ لعبادة الله.

2. الاغتراب في الشعر العربي:

لقد عرف الإنسان العربي الغربة المكانية حيث عاش متنقلا من مكان إلى مكان باحثا عن مواطن الكلأ والماء فألفت قدماه التنقل، ولكن قلبه بقي معلقا دائما بأول منزل، فوقف عل أطلاله وجعلها رمزا لاغترابه النفسي والعاطفي، وخلق لخطابه الشعري مشاركا افتراضيا حتى يشاركه غربته وليتسنى له الإفصاح عما في نفسه من مشاعر الأسى والحسرة.

ومن هؤلاء الشعراء نجد "امرؤ القيس" يخاطب حين رأى قبر امرأة في سفح جبل "عسيب" الذي مات عنده :

أجارتنا إنّ الخُطوب تنوب *** وإنني مقيم وما أقام عسيب

أجارتنا إنا غريبان ها هنا *** وكل غريب للغريب نسيبٌ

فإن تصلينا فالقرابة بيننا *** وإن تصومينا فالقريب غريب"[1]

فهنا يرى أن الغريب ليس من بعد عن الوطن ولكن الغريب من تخلى عن القريب وغدر به البعيد . كما لم يغب الاغتراب عن باقي الشعراء في العصر الجاهلي، فنجد الشعراء الصعاليك على سبيل المثال يبتعدون عن قبائلهم بعد أن استحال عليهم العيش معهم فجعلوا من الصحراء موطنا لهم، "فلم ينسى الصعلوك حتى و هو فالأسر أن يذكر الوطن و الأهل"[2]:

"فيقول عبيد بن أيوب الذي مارس اللّصوصية، ثمّ ارتكب جناية ونتيجة لذلك خلعته قبيلته:

---

[1] : امرؤ القيس، ديوان امرؤ القيس، دار المعرفة، بيروت، لبنان، اعتنى به و شرحه: عبد الرحمان المصطفاوي، ط2، ، سنة 2004، ص83.

[2] :عبد الرّزاق الخشروم، الغربة فالشعر الجاهلي، منشورات دار الكتاب، دمشق 1986،دط، ص57

وفارقتهم والدّهر موقف فرقة*** عواقبه دار البلا وأوائله"[1]

فكانت علاقة الشاعر بقبيلته علاقة منفصلة يتخللها الكثير من البرود الشيء الذي جعل الصعلوكي يحس بحالة اللاإنتماء اتجاه قبيلته.

" وبعد مجيء الإسلام "حظي مفهوم الاغتراب باهتمام العلماء و الفقهاء العرب المسلمين و لعل أهم من خصه بالدراسة بعد ان عاشه أبو حيان التوحيدي ،والذي استمد آراءه من تجربته الحياتية ،أين أمضاها بائسا فقيرا ،منبوذا ،جاب البلدان و قصد الأمراء ،و لم يحظ بطائل ،فحقد على كل الناس وأراد الانتقام منهم ،كما اقدم على حرق كتب له ،معللا دلك في رسالة أرسلها الى صديق له كان قد لامه على فعلته تلك ...و اتضح من الرسالة اغتراب أبي حيان اغترابا شديدا ،اذ صار ينظر الى من حوله من الناس بأنه لم يبقى له منهم صديق ولا حبيب..."[2]

كما نجد الجاحظ قد تحدث كذلك في موضوع الاغتراب "ومما قاله هذا التشبيه الرائع للغريب عن وطنه: الغريب النائي عن بلده، المتنحي عن أهله، كالثور النادي الناد عن وطنه الذي هو لكل سبع قنيصة ،و لكل رام دريئة...،فهو يرى ان الغريب عن وطنه يكون فريسة لكل المصائب و النكبات"[3]

كذلك نجد جرير بن عطية الذي اشتكى ضيق الحال وضياع العيال، و قصد الخلفاء، متحدثا عن الام وما تعانيه مع صغارها الجياع:

"أشكو إليك فاشكني ذرية *** لا يشبعون وأمهم لا تشبع

كشروا عليّ فما يموت كبيرهم *** حتى الحساب ولا الصغير المرضع

[1] : فتحي ارشيد محمد شديفات ،الاغتراب في شعر الصعاليك و اللصوص حتى نهاية العصر العباسي الأول،مرجع سابق ، ص 216.

[2] :لزهر مساعديه، نظرية الاغتراب من المنظورين العربي و الغربي ،مرجع سابق ،ص 51،52.

[3] : المرجع نفسه ص،57 .

وإذا تقسمت العيال غبوقها *** كثر الأنين وفاض منها المدمع"[1]

فالشاعر يشكوا حاله، فيمد يده مستجديا ليسد رمق عياله،

و بالمرور بالعصر العباسي لا يمكننا ان نتغاضى عن الحديث عن الشاعر ابي العلاء المعري" الذي ذاق معظم أنواع الاغتراب فقد استشعر العبث واللاجدوى في هذه الحياة ،حتى رأى بانها كلهاغربة،مما أدى به إلى تكريس الموت "[2].

ومن مظاهر الاغتراب عند المعري "ظاهرة العزلة والتي جسدها في الأبيات التالية:

أراني في الثلاثة من سجوني فلا تسأل عن الخبر النبيث

لفقدي ناظري و لزوم بيتي وكون النفسي في الجسد الخبيث "[3]

فلا يشعر بغربة الغريب إلا من ذاق مرارة الغربة وعانى آلامها، فصارت نفسه تبحث عمن يشاركها غربتها ويقاسمها لوعتها.

"وظل الاغتراب بأنواعه المختلفة ملازما للشاعر صاحب الحس المرهف ولم يسلم منه شعراء العصر الحديث نظرا لما تعرضت له المنطقة من استعمار للبلاد و تدمير للقيم الاجتماعية والسياسية والدينية وغيرها.

فنجد شعراء الجزائر مثلا، فقد فاقت غربتهم كل غربة، فقد ذاقوا مرارة البعد والنوى عن الأهل والأحباب إذ تركوا بلادهم اضطرارا، منهم "الأمير عبد القادر" الذي واجه المستعمر الفرنسي قلبا وقالبا، وها هي عبارته تنزل اليوم بعد أن اشتعلت نار الشوق بين ضلوعه:

"تذكرت وشك البين قبل حلوله *** فجاءت عيوني بالدموع على الخد

[1] : جرير بن عطية حذيفة، الديوان، ، دار بيروت للطباعة و النشر ، بيروت، دط، 1986م، ص276.
[2] : لزهر مساعديه، نظرية الاغتراب من المنظورين العربي و الغربي ،مرجع سابق،ص83.
[3] :المرجع نفسه ص84.

وفي القلب نيران تاج جحرها *** سرت في عظامي، ثم صارت إلى جلدي"[1]

فالاغتراب لازم الشاعر الجزائري، وما زاد في حدته هو عامل الاستعمار الذي جعله يعيش اغترابات متنوعة. فلم يرحل الاغتراب عن الشعر الجزائري برحيل المستعمر وإنما ظل الشاعر يعاني حتى بعد مجيء الاستقلال، بسبب للظروف القاسية والعوامل الاجتماعية والاقتصادية التي كانت تعانيها الجزائر آنذاك.

فيقول الدكتور "علي وطفة بأن: مفهوم الاغتراب يشير الى النمو الشوه للشخصية الإنسانية،حيث تفقد فيه الشخصية مقومات الإحساس المتكامل وبالوجود و الديمومة ...فعندما تتعرض الشخصية الإنسانية في جوهرها العقلي أو الثقافي أو الاجتماعي لنوع من التشويه و الاغتصاب ،تحدث عملية اغتراب و تشويه".[2]

وفي الأخير تبقى ظاهرة الاغتراب سمة واضحة ترافق الشاعر العربي في كل العصور فهي ظاهرة قديمة قدم الشعر تفاوتت درجة الاغتراب من عصر لآخر حسب الظروف الموازية لذلك العصر، مؤكدة على شفافية إحساسه ورقة مشاعره. "فيقول عمر بوقرورة: الغربة ظاهرة قديمة رافقت المجتمعات البشرية منذ بدء الخليقة ،و لكنها كانت غربة واضحة المفهوم و المصطلح ،بينما اتخذت لها صورا معقدة في العصر الحديث بل صارت من أكثر المفاهيم إثارة للجدل بسبب التعاريف الكثيرة التي وضعت لها"[3]

[1] : سنوساوي عمارية، الاغتراب في الشع الصوفي الجزائري، مرجع سابق، ص 22.
[2] : لزهر مساعديه، نظرية الاغتراب من المنظورين العربي و الغربي ،مرجع سابق،ص 62.
[3] :المرجع نفسه :ص 60.

2: أنواع الاغتراب:

ان الاغتراب لا يقتصر على نوع واحد أو نوعين، فعند دراستنا للاغتراب اكتشفنا أن الاغتراب لا ينحصر فقط في الحقيقة أي (غربة حقيقية)، وانما الاغتراب يكون في أغلب الأحيان اغترابا مجازيا يعيشة الشاعر وهو في موطنه وسط اهله وأحبابه، وهو بدوره ينقسم الى أنواع حسب الظروف التي تحيط بالمغترب.

نذكر بعض أنواع الاغتراب الشائعة فالشعر العربي ولعل أبرزها الاغتراب الذاتي:

1. الاغتراب عن الذات:

أكثر اغتراب يعيشه الشاعر هو الاغتراب الذّاتي، و هو نفسه الذي ينتج ذاتا شاعرة فتصبح ذاته و كأنها منفصلة عليه و غالبا ما نقرأ لشعراء يخاطبون ذواتهم، "عرّف "سيمون" الاغتراب عن الذات بأنه عدم قدرة الفرد على التواصل مع نفسه، و شعوره بالانفصال عما يرغب في أن يكون عليه حيث تسير حياة الفرد بلا هدف..."[1]

"كما يتفق علماء النفس على أن الفرد حين يلوذ بذاته و يتمركز عليها ،على حساب تفاعله مع الواقع و استجابته الفعالة لحركة الحياة ...فإن حياته النفسية تختل و تظهر عليه الأعراض المصاحبة للاغتراب من عزلة موحشة و اكتآب و قلق و تسلط وتشيؤ و عدوان."[2]

فيشير هذا النوع من الاغتراب إلى إزالة كافة ما كان عليه المرء، بما في ذلك ارتباط حياته الحالية بماضيه، وجوهر هذا الاغتراب هو البعد عن مشاعر الفرد، ومعتقداته وفقدان الشعور بذاته ككل.

[1] : د عبد اللطيف محمد خليفة ، دراسات في سيكولوجية الاغتراب ،,مرجع سابق ،ص 40.
[2] :صلاح الدين احمد الجماعي ،الاغتراب النفسي و الجماعي،مرجع سابق ص،65.

الاغتراب الذاتي يصاحبه الشعور بالوحدة و الغربة و العجز قد يتجاوزه الفرد ليخلق لنفسه عالما جديدا لكن أحيانا لا"يستطيع الانسان العيش وحيدا،فيستسلم و يخضع لسلطة هذا المجتمع سواء سلطة سياسية ،ام سلطة عادات و تقاليد و اخلاق سائدة فيه،ليتحول هذا الانسان الى آلة بشرية و يتنازل تماما عن فرديته،فيصبح مغتربا عن ذاته الأصلية مكتسبا ذاتا جديدة زائفة–يميلها المجتمع–..."[1]

ميزت ""**هورني** " كذلك بين نمطين من الاغتراب عن الذات هما الاغتراب عن الذات الفعلية و الاغتراب عن الذات الحقيقية ،..يشير النوع الأول إلى إزالة كافة ما كان عليه المرء بما في ذلك ارتباط حياته الحالية بماضيه...أما النوع الثاني فيتمثل في التوقف عن سريان الحياة في الفرد من خلال الطاقات النابعة من هذا المنبع أو المصدر الذي تشير إليه باعتباره جوهر وجودنا"[2]

فصفة المغترب ذاتيا عادة ما تطلق على "الشخص الذي يفقد الوعي و يعجز عن استخدام قدراته العقلية و الحسية في التواصل مع الآخرين و التعبير عن نفسه، و الى الشرود الذهني ،و غياب الوعي ،و تركيز اهتمام الفرد في شيء معين بذاته يشغله حتى عن نفسه"[3]

و قد أكد أريك فروم ذلك في كتابه "المجتمع السوي":أن المعنى القديم للاغتراب قد استخدم للدلالة على الانسان "المجنون"...اي الشخص المغترب عن عقله"[4].

[1] : لزهر مساعديه، نظرية الاغتراب من المنظورين العربي والغربي، مرجع سابق، ص102.
[2] : عبد اللطيف محمد خليفة، دراسات في سيكولوجية الاغتراب، المرجع نفسه، ص 42.
[3] :صلاح الدين احمد الجماعي الاغتراب النفسي و الاجتماعي ،مرجع سابق ص 47.
[4] : عبد اللطيف محمد خليفة، دراسات في سيكولوجية الاغتراب، المرجع نفسه، ص81.

2. الاغتراب الاجتماعي:

إنّ الإنسان بطبعه كائن اجتماعي يعيش في تلاؤم وانسجام مع أفراد مجتمعه فهو يجمعهم المكان الواحد ويحتويهم الزمان الواحد، لكن أحيانا لا يتفق الفرد من مجتمعه او افراده فتحدث فجوة بينه و بين المجتمع "فيشعر الفرد بالانفصال عن جانب أو أكثر من جوانب المجتمع كالشعور بالانفصال عن الآخرين أو القيم و الأعراف والعادات و التقاليد السائدة في المجتمع أو عن السلطة الحاكمة ،فينتج عن ذلك إحساس بالألم والحسرة أو التشاؤم واليأس و بالتالي ينتج عن ذلك –أحيانا– سخط أو تمرد أو نقمة أو حرب ..."[1]

وغالبا ما يتبع هذا النوع من الاغتراب الإحساس بالقهر والحرمان و كذلك الاغتراب عن الاخرين أي الشعور بالوحدة و العزلة حتى إن التمرد عن العادات و التقاليد و الأعراف السائدة يعبر اغترابا فأحيانا "تختل الموازين و تتبدل الأعراف ،و تنحرف القيم الأخلاقية و الاجتماعية ،و تطغى عليهم القيم الفاسدة و العادات الغريبة و الشاذة ،تشعر النفوس النبيلة الأصلية بالاغتراب عن الناس الذين عمهم الفساد ،و تلتجئ إلى التعبير عن اغترابها بكلمات عقد أو سخرية ،أو رفض أو هجوم"[2].

فالإنسان بحاجة إلى الجماعة فهو ينمو ويكبر ضمن أفراد أسرته، وتزيد أواصر الصداقة مع ارتباطه مع أقرانه،. ، فبقدر شعور الفرد بالانتماء للمجتمع والاستماتة في الدفاع عنه بقدر ما كانت الدولة قوية لا تهزها عواصف و العكس صحيح .

"كما يشير السياق النفسي الاجتماعي على شعور المرء بالانفصال عن الكل الاجتماعي الذي ينتمي إليه،و هو انعكاس لوضع الفرد في المجتمع نتيجة ما يوقعه الأخير بالإنسان من عقوبات العزل أو

[1] : لزهر مساعديه، نظرية الاغتراب من المنظورين العربي والغربي، مرجع سابق، ص 93.
[2] : المرجع نفسه، ص 96.

النبذ بسبب الخروج عن المعتقدات و التقاليد السائدة، فالمغترب هو من خرج عن المألوف الاجتماعي أو الديني"[1].

أما من الناحية الفلسفية فيعتبر 'ماركس' "أول من تناول الاغتراب باعتباره ظاهرة اجتماعية تاريخية سواء من حيث نشأتها أو تطورها وهو يشير إلى اغتراب الإنسان عن العمل من خلال فهمه للنظام الاقتصادي ولذا نجده يتناول الاغتراب الذي يصاحب العمليات الإنتاجية من خلال أربعة أوجه وهي "اغتراب العامل عن نفسه، اغترابه عن الإنتاج وبالتالي اغترابه عن عمله"

لهذا نجد الماركسية قد أرجعت أسباب الاغتراب إلى أنّ بعض الأفراد يغتربون عن أعمالهم لأسباب موضوعية كامنة في علاقات الإنتاج ونسق السيادة الطبقي مما يؤدي إلى انفصالهم عن العمل والإنتاج، كما يؤدي في نفس الوقت إلى اغترابهم عن الطبيعة وعن ذواتهم كذلك"[2].

أما عند سارتر "الاغتراب ظاهرة اجتماعية ذات جذور تاريخية وواقعية حيث تدخل القوى المنتجة في صراع مع علاقات الإنتاج وأصبح العمل الأخلاقي مغتربا و لم يعد الانسان يتعرف على نفسه في إنتاجه وبدا له عمله كقوة معادية له..."[3]

3. الاغتراب المكاني:

بعدما ضاقت القرى بأحلام أهلها لم يجدوا بدّا من شذ الرحال إلى المدينة لعلهم يظفروا بالراحة والأمان فلم يجدوا إلاّ خيبة الآمال" وقد ذهب كثير من علماء الاجتماع غلى أنّ كثيرا من الاحباطات التي يحس بها سكان المدينة إنّما هي نتيجة صراع أساسي بين القيم: بين الذات والمجموع، بين

[1] : صلاح الدين احمد الجماعي الاغتراب النفسي والاجتماعي، مرجع سابق ص46.
[2] : سنوساوي عمارية، الاغتراب في الشعر الصوفي الجزائري،مرجع سابق ، ص58.
[3] : صلاح الدين احمد الجماعي الاغتراب النفسي و الاجتماعي، مرجع سابق، ص48.

الحرية والسلطة، بين التنافس الحاد والمحبة والأخوية...الخ "[1]. فالفرد في صراع داخلي بين ذاته وبين الآخرين، بين انطلاقه وحريته وبين سلطة الجماعة المفروضة عليه، بين المحبة والأخوة والجوهر النقي وبين الصراع والتنافس والنفاق، ولقد عانى الشعراء الذين يطمحون لصفاء الرّوح من جو المدينة الخانق.

فأول ما يتبادر في الذهن عن الاغتراب المكاني ،الهجرة ،فغالبا ما "يدفع الفقر و الحرمان و البؤس الكثير من الناس إلى هجرة أوطانهم كما يدفعهم إلى ذلك الاستعمار و ممارساته أو تعرضهم للظلم و الذل من قبل الحكام.و قد يهجر البعض أوطانهم بسبب تفشي الاضطراب و الفوضى و انقسام الأمة ،و انهيار الدولة على جميع الأصعدة السياسية و الاقتصادية و الاجتماعية –مثلما هو الحال في الجزائر اليوم–و لكل هذه الدوافع يحمل الانسان على الهجرة من وطنه بحثا عن الأمن وسعيا وراء الرزق"[2].

4. الاغتراب الثقافي (الفكري):

إنّ من أهم معاني الاغتراب التي تمس المثقف والمفكر وتوضح دوره وعلاقته مع المجتمع نجد العزلة الاجتماعية "فيفقد الأشخاص أحيانا الإحساس بالهوية الشخصية، لذلك يسلكون طرقا ع ضد المجتمع ومعاييره. كما يشعر الفرد فالجماعات أحيانا بالانفراد واللامسؤلية، فيصبح أقل وعيا بقيم الجماعة"[3]

فيشير" كينستون" "إلى أن حالات التمرد و العصيان و الخروج عن الأعراف والقيم إنما تعبر عن أساليب الرفض لثقافة المجتمع بل و الشعور بالغربة و الاغتراب ...كما حدد صور رفض الهوية

---

[1] : إحسان عباس، اتجاهات الشعر العربي المعاصر، عالم المعرفة، سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1978م، ص91.

[2] : لزهر مساعديه، نظرية الاغتراب من المنظورين العربي والغربي، مرجع سابق، ص 91.

[3] : د، عبد الطيف محمد خليفة، دراسات في سيكولوجية الاغتراب: مرجع سابق، ص60.

الثقافية في : إظهار سلوكيات غير مألوفة في ثقافة المجتمع ،ورفض النظام القيمي للمجتمع ،و عدم القدرة على الاندماج في المجتمع"[1].

واحسن مثال على ذلك ما ورثت الجزائر من فرنسا من ثقافة مستلبة لا تعترف بالأصالة والحضارة العربية الإسلامية، هذه الثقافة المستلبة خلقت فردا بلا هوية بلا أحلام، بلا طموح، وبلا عالية ايجابية قادرة على التدخل في مجرى التاريخ. فتصدى المثقفون ليعيدوا الأمور إلى طبيعتها، ليعيدوا للجزائر ثقافتها وهويتها وعاداتها وتقاليدها.

فالهوية الثقافية أساس تماسك المجتمع "كما يشير "أريكسون" هي عملية متعلمة من الواقع الثقافي والاجتماعي الذي يعيشه الفرد في مجتمعه، وهي مظهر من مظاهر نمو الشخصية"[2]. وهذا ما حدث فالجزائر فتعرقلت عملية الإبداع فالشعر بسبب هذه الصراعات داخل المجتمع والتمرد والعصيان في ذات الشاعر الجزائري الذي رفض تلك الأوضاع. وكل هذه المظاهر إنما هي من "الاثار السلبية المترتبة عن فقدان الهوية الشخصية أو الثقافية ...فظهرت العديد من السلوكيات غير المقبولة مثل: الانسحاب والبعد عن التعامل منع الجماعة، وعدم المشاركة في المسؤولية الاجتماعية، والتمركز حول الذات، والانغلاق في دائرة الأهداف والمصالح الشخصية دون المصالح العامة، ورفض القوانين والمعايير الاجتماعية والثقافية"[3]

5. *الاغتراب الديني*

كما درسنا سابقا فالاغتراب الديني ورد في كل الأديان "وقد أوضح فتح الله خليف أن الاغتراب جاء في الإسلام ثلاث درجات: اغتراب المسلم بين الناس، اغتراب المؤمن بين المؤمنين، و اغتراب العالم

[1] :المرجع نفسه،ص62.
[2] : عبد الطيف محمد خليفة ، دراسات في سيكولوجية الاغتراب، مرجع سابق ص 62.
[3] : المرجع نفسه ص 62.

بين المؤمنين، فغربة العلماء هي أشد أنواع الاغتراب لقلتهم بين الناس، وقلة مشاركة الناس لهم"[1].

للدين أهمية كبيرة وحضور مميز في الشخصية الجزائرية، وله دور مهم في تكوين هذه الشخصية وابراز ملامحها، "فالجزائر فُتحت على يد الفاتح المغوار عقبة بن نافع "[2] فما إن جاء "عقبة بن نافع حاملا للرسالة الإسلامية إلى هذا البلد حتى أصبح همّ أبنائه الدفاع عنه ونشر تعاليمه إلى البلدان المجاورة.

وكان الجزائريون كل ما شعروا بالخطر يحدق بمعتقداتهم ودينهم إلاّ وهرعوا مدافعين عنها مستميتين في نصرتها، ابتغاء الأجر والثواب وخوفا من استبدال دينيهم الذي اختاروه وامنوا به وتعبدوا به زمنا طويلا ففي وقت الاستعمار، حاولت فرنسا بكل قوة القضاء على دين الإسلام الحنيف «فأخذت ترسل الإرساليات التنصيرية أملا في أن تُنصِر هذا الشعب وظنت أن أهل الصحراء سيقبلون على النصرانية بيسر ما داموا على بساطتهم وطبيعتهم الفطرية، وأنهم بعيدون عن الإسلام وعلومه."[3].

وحدث ما لم يكن في حسبانها فاصطدمت بتضحيات وبطولات الشعب الذي لا يقبل أن يكون تابعا لصليب، فعلى الرغم من الآلام والجراح التي عانى منها الشعب الجزائري إلا أنه كان متمسكا وبقي وفيا للدين الإسلامي، وموازاتا لهذه الأحداث فقد كان لها انعكاس واضح في الشعر الجزائري.

فعندما ورد في كتاب نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر المعاصر: اراء في طريقة حكم الجزائر : "إنّ أرض الجزائر تشكل جزءا لا يتجزأ من أرض فرنسا الأم وعليها أن تعيش نفس الحياة التي تحياها..، مبادرة وتنفيذ في الجزائر حزم ومراقبة في باريس"[4].

---

[1]:المرجع نفسه، ص 101.

[2] :تاريخ الفتح الإسلامي موقع: WWW.ISLAWEB.NET ،تاريخ النشر: الاثنين 9 ذو الحجة 1423ه /10_02_2003م

[3] : محمود شاكر، التاريخ الإسلامي التاريخ المعاصر، بلاد المغرب، المكتب الإسلامي، ط2، 1996م، ص 237.

[4]: عبد الحميد زوزو، نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر المعاصر (1830_1900)، المؤسسة الوطنية للكتاب، دط، دت، ص173.

كان نتيجة ذلك عنف واضطهاد يمارس ضد الأبرياء، عملوا كل ما بوسعهم من أجل إقلاع هذا الشعب من أرضه فعمدوا على تشويه تاريخه ومسخ الشخصية وأرادو تجريده من مقوماته الوطنية وذلك عبر قطع صلته بلغته ودينه. فشوهوا تاريخه ومسخوا شخصيته، " إ ن الشعب الجزائري يحس... إحساسا عميقا.. بعروبته وبقومتيه. والدليل على هذا: كفاحه الطويل من أجل لغتها، وتاريخها، وآدابها. لكن كفاحه كان صامتا .. لم يسمع به أحد، لأن الشعب كان معزولا عن العالم في معظم الاحيان"[1].

فالاغتراب قد غيّم على نفوس الشعراء في تلك الفترة فلم يعد لهم لسان يغني الأشعار في وطن يٌحرق شجره وترمل نساءه ويشرد أطفاله.

فمنذ دراستنا للتاريخ الجزائري إبان الثورة التحريرية كثيرا ما ظهر الجانب الديني في الشعب الجزائري وبقوة بعدما عمّ الظلم والظلام البلاد والعباد فحٌولت المساجد إلى كنائس، وضيقت فرنسا الخناق على كل من رفع الحرف العربي شعرا، ولكن الأزمة تولد الهمة، فكانت الهمّة انتشار الكتاتيب في كل القرى والأرياف، وسعى الأهل إلى تحفيظ أبنائهم كتاب الله وانتزعوا من قوتهم ليرسلوا بهم إلى الخارج ليتفقهوا في دينهم و يضلعوا في لغتهم فكان منهم العالم والكاتب والشاعر "فالنظام الديني الأتوقراطي الذي اتبعه الدايات في الجزائر قد حل محله العنف الدموي و الاستعمار المباشر على يد الفرنسيين، قد أدى هذا التحول في الحكم إلى تحول فالتعبير و أهدافه ووسائله: إنّ جيلا كاملا من الشعراء قد ظهر في النصف الثاني من القرن الماضي، وقد أسهم هذا الجيل بنصيب وافر من الموضوعات والشعارات والأساليب الشعرية"[2].

---

[1] : عبد الله الركيبي، دراسات في الشعر العربي الحديث، تقديم صالح جودت، دار الكتاب العربي، د ط، دت، ص 42.

[2]: أبو القاسم سعد الله، دراسات في الأدب الجزائري الحديث، دار الرائد للكتاب ، الجزائر ، ط 5 ، 2007 ،ص 33.

لكن عامل الاستعمار لا يعتبر العامل الوحيد في هذا النوع من الاغتراب "فالاغتراب من الدين بمعنى رفض المؤسسة الدينية القسرية و الخروج عنها ،وبخاصة في محاولتها مقاومة التغيير.و ينعكس مثل هذا التوجه لدى بعض المثقفين في العصر الحديث..."[1]

فالإيمان يُعتبر عاملا مهما في تحقيق الصحة النفسية للإنسان في الحياة بوجه عام، وفي العصر الحديث المليء بالتّغيرات بوجه خاص." فاللجوء الى الله يجعل الانسان مع الله الذي ينزل عليه سكينة و الامن و الطمأنينة و يؤيده و يسانده و ينصره ،و تنشط أجهزة المناعة النفسية و الجسمية التي تحميه من الامراض والاضطرابات ،والشعور باليأس و الاغتراب"[2] فالحياة بلا إيمان مثل البحر الهائم المتلاطم بالأمواج ال خالي من الشُطان، ووهم بلا فائدة" فالشعب الجزائري كان مؤمنا بدينه وقضيته وكان حالما لغد أفضل للجزائر بزوال المستعمر ويعود لمدنها بهاء العلم والادب كما كان دائما.

فالشاعر الجزائري عاش مغتربا وهو بين أهله وذويه، واغترب روحيا وهو يهان في وطنه واغترب دينيا وهو يمنع من تعليم أبنائه لغته ودينه حتى من الجانب الاقتصادي وهو يرى الفقر يعصف بمجتمعه والثقافي وهو يرى ثقافته تستبدل بثقافة غريبة عنه وعن دينه.

6. الاغتراب السياسي:

"يعد الاغتراب السياسي واحدا من أكثر أنواع الاغترابات شيوعا في المجتمع المعاصر بوجه عام وفي المجتمعات العربية بوجه خاص. وتبدو مظاهره وتجلياته في العجز السياسي الذي يشير إلى أن الفرد المغترب ليست لديه القدرة على أن يُصدر قرارات مؤثرة في الجانب السياسي، كما يفتقد إلى

[1] :حليم بركات ،الاغتراب في الثقافة العربية، متاهات الانسان بين الحلم و الواقع،مرجع سابق ،ص125.
[2] :عبد اللطيف محمد خليفة ، دراسات في سيكولوجية الاغتراب ، ،مرجع سابق ،ص107.

المعايير والقواعد المنظمة للسلوك السياسي، بمعنى اخر، يشعر المرء بأنه ليس له دور في العملية السياسية، وأن صانعي القرارات لا يضعون له اعتبارا ولا يعملون له حسابا..."[1].

وهذا بالضبط ما حدث للشاعر الجزائري فقد عانى خلال الفترة الاستعمارية من قهر وظلم ونفي تجلى في اغترابه السياسي فلم يعد قادرا على التحمل فثار ثورته في وجه المستعمر الذي جعل الفرد الجزائري غريبا في وطنه باقترافه لجرائم وتجاوزات خطيرة. وبعد فترة استعمارية طويلة كابد فيها الشعب الويلات استعاد حريته ونال الاستقلال، لكن الاغتراب السياسي بقي سمة بارزة حتى ما بعد الاستقلال، فمزال الشعب ينظم انتفاضات ويسعى للتغيير النظام السياسي القائم إلى يومنا هذا وخير مثال على ذلك الحراك الذي نظمه الشعب الجزائري في 2019 من أجل القضاء على النظام السياسي الفاسد وبناء جزائر جديدة.

"فهناك اذا أوضاع كثيرة تحيل العربي من الزمن المعاصر الى كائن مغترب عن نفسه و مجتمعه و مؤسسته ،و في طليعتها الدولة .إن مثل هذا الوعي العميق بالاغتراب عن الذات و المجتمع و الدولة و المؤسسات الأخرى هو في صلب المعضلة الكبرى التي تفاقمت خلال ما يزيد على قرن من الزمن، إنها معضلة مستمرة و نحن في صميمها"[2].

فلم يكن امام الشاعر الجزائري في تلك الأوضاع السائدة سوى الكتابة والشعر، فاتخذ منهما وسيلة للتعبير لكن مع غياب الديموقراطية فقد حُرم حتى من الحق في الكتابة والتعبير.

فالمعروف أن "الأنظمة السائدة في المجتمع العربي...هي أنظمة مغربة تحيل أفراد الشعب الى كائنات عاجزة ،إن الشعب بكل بساطة مغلوب عن أمره ،مستلب من حقوقه و ممتلكاته المادية و

[1] : المرجع نفسه،ص 97.

[2] : حليم بركات ،الاغتراب في الثقافة العربية، متاهات الانسان بين الحلم و الواقع،مرجع سابق 92.

المعنوية...لقد عقد الشعب الكثير من الآمال على الأنظمة والحركات ...فإذا بها تستأثر بالسلطة ،و تشمخ عليه .."[1]

وكانت هذه أنواع الاغتراب فمن خلال دراسة النصوص الشعرية والإحاطة بما تيسر من أحداث ومواقف عاشها الشعراء وجد الباحث أن اغترابهم لم يكن واحدا في تصنيفه وإنّما اتخذ عدة أصناف، فهناك الاغتراب الاجتماعي، السياسي، المكاني والثقافي.... الخ.

3: الاغتراب في الشعر الجزائري:

إنّ المتتبع لتاريخ الأدب الجزائري يجده يعود إلى زمن الفتوحات الإسلامية لشمال إفريقيا ومرتبط بالعرب الذين حاولوا نشر الدين فبدأوا بتلقين القرآن ونشر السنة النبوية وهذا ما اضطرهم إلى تعليم العربية أولا.

"و الواقع أن الشعر في الجزائر قد مرت عليه عهود و فترات تأرجح فيها بين اليأس و الأمل مرة، و حاول أن يدفع بعجلة التطور الفكري الى الأمام مرة أخرى. والذي يلفت النظر هو أن هناك حلقة من حياة الشعر قد انقطعت...أو كادت تنقطع ،و تبدأ هذه الفترة منذ بداية الغزو الفرنسي حتى أوائل هذا القرن"[2].

فكل دولة حكمت الجزائر ساهمت في ظهور نخبة من العلماء والأدباء والشعراء أضافوا للمكتبة كما زاخرا من المصادر والدواوين، لكن تعدد الحكام أدى إلى عدم استقرار العلوم بصفة عامة "وفي هذه المرحلة الحرجة من تاريخ الجزائر أخذ الشعر على عاتقه الدعوة إلى الوحدة الشعبية والوطنية النقية "[3].

---

[1] :المرجع نفسه، ص 96.

[2] : عبد الله الركيبي، دراسات في الشعر العربي الحديث، تقديم صالح جودت، كتب ثقافية، د ط، د ت،ص11.

[3] : أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1998م، ص 42 .

فأكثر ما أثر على الأدب الجزائري و الشعر خاصة هو الاستعمار "فالذي نعرفه أن الشعب الجزائري في هذه المرحلة قد حيل بينه و بين الثقافة العربية ،اذ حاول الاستعمار الفرنسي بكل ما يملك من قوة و سيطرة و اغراء أن يضرب حجابا صفيقا ،بين الجزائر و بين العربية و العروبة بغرض أن يمحو الجزائر من سجل التاريخ العربي مهما كان الثمن"[1].

ظاهرة الاغتراب في الأدب الجزائري ليست وليدة فترة زمنية ما بل هي ملازمة للإنسان في كل عصر لأنها ناتجة عن ظروف اجتماعية أو سياسية أو حضارية،" والواقع أن الحديث عن الأدب الجزائري يشبه لحد كبير الحديث عن الأدب العربي بصفة عامة في كل بيئة من بيئاته الوطنية، فقد عاش هذا الأدب نفس الظروف والمشكلات التاريخية والفكرية التي عاشها الأدب العربي"[2]، فأصبحت هذه الظروف قاسما مشتركا بينهم.

وكان الشعر أكثر ضررا لأنه مرتبط بوجدان الفرد فالإنسان يتأثر بما حوله من أزمات ومحن، فينتج عنده ما يعرف بالاغتراب، ونقف عند ظاهرة الاغتراب في الشعر الجزائري من خلال محطتين:

1. الشعر الجزائري الحديث:

أعتبر الشعر منذ القديم مرآة الأمم الخالدة ورسالة التعبير الإنساني النبيل، وسلاحا فتاكا في تغيير مصير الشعوب، وكانت بداية الشعر الجزائري نتيجة لصراعات وأزمات مر بها المجتمع الجزائري خلال فترة الاستعمار الفرنسي، فالمأرجح أن الشعر في الجزائر في عهد الاستعمار اندثر باندثار اللغة العربية التي حاول الاستعمار القضاء عليها بكل الطرق ،لكن هذا غير صحيح و هذا ما يؤكدة

[1] : عبد الله الركيبي، دراسات في الشعر العربي الحديث،مرجع سابق ،ص 11

[2] : أبو القاسم سعد الله، دراسات في الأدب الجزائري، مرجع سابق ،ص 21.

أبو القاسم سعد الله "يخطئ من يظن أن العروبة اختفت من الجزائر... ذلك أن الجزائر ما تزال على عهدها تضيئ العبقرية وتبعث المواهب و تنتج الشاعرية وتزف الى الادب العربي بين الحين و الآخر معطيات جديدة"[1]

كان هذا الاستعمار من أعنف القوى في القرن التاسع عشر فقد كان هدفه الأول القضاء على الهوية الوطنية وتهديم قيم المجتمع، لكن مقاومة الشعب الجزائري كانت له بالمرصاد.

و من أكثر العوامل التي ساهمت في تراجع الأدب في الجزائر نوعا ما "انقطاع الجزائر لظروف قاهرة عن شقيقاتها العربية ، و الثاني رضى المفكرين العرب بهذا الانقطاع حتى تصوروه أمرا فوق التفكير و خارج الطاقة .و من ثمة حسبوا الجزائر في دار غربة واعتبروا ما جاء من الجزائر انتاجا أجنبيا لا عربيا..."[2] ويعتبر الأمير عبد القادر (1807_1883) من أبرزهم فهو مؤسس الدولة الحديثة: "بطل الجزائر وإن كان من أرباب السيف، فقد كان القلم لا يغمد احدهما حتى يجرد صاحبه فيبرئ بأول الرؤوس والهام، ويبرئ بالثاني النفوس من سقام الأوهام ومثله من أدباء وأمراء كمثل (سيف الدولة بن حمدان) غير أنّه كان أوفر ذماما وأوفى عهدا وميثاقا من ممدوح المتنبي ويستشف من خلال خطبته وكتاباته ومن بين قصائده ومقاطع أبياته الطبع و فخامة التعبير غير أنها كادت أن تخلو من رونق التّجويد و بهاء التّنميق...و مع هذا فليس دون الطبقة الأولى من أدباء عصره"[3].

[1] :المرجع نفسه ص 31.

[2] : أبو القاسم سعد الله، دراسات في الأدب الجزائري الحديث مرجع سابق ،ص31.

[3]: حسن السندوبي، أعيان البيان صبح القرن 3 إلى يومنا هذا، المطبعة الجمالية بحار الروم، مصر، ط1، 1914م، ص 175.

فهو من آخر شعراء الفترة الحديثة "الذي سجل بعض الأحداث والوقائع التي عاشها الشعب الجزائري في حروبه الطاحنة ضد الغزو الفرنسي منذ 1830."[1]

فالدارس لحياة الأمير لا يجد اختلافا عن غيره من الشعراء المشارقة، أمثال "محمود سامي البارودي" و"أحمد شوقي" في تجربة الاغتراب سواء داخل الوطن أو خارجه، كونه عانى قهر الاستعمار الفرنسي فعاش في الأسر في بلد غير بلده وعانى ألم القلب أكثر من ألم الجسد ، فلم يحكي إلاّ ما يروم في هذا القلب من أوجاع الفراق.

لقد عرفت مرحلة منتصف العشرينيات جمودا فكريا "وعرفت الجزائر نوعا من الاستقرار والهدوء في ظل الاحتلال، استقرار وهدوء لا عن رضى واطمئنان نفسي وتسليم بالواقع، لكنه الاستقرار الأليم الذي جاء بعد فشل جميع المحاولات الثورية"[2].

في ظل هذا الواقع تباينت بعض الأصوات الخافتة التي تتحدى الواقع ولو بالبكاء على الأطلال والديار والانطواء على الذات كما يقول 'عبد الله الركيبي' "فكان الشعر في هذه الفترة قد اتجه من هذا الاتجاه السلبي القاتم، الذي لم يقدم حلولا ولم يشارك الشعب مأساته ويحاول أن يخفف من الإرهاق الذي يعاني منه الشيء الكثير، فهناك من حاول أن يخرج به إلى شيء من الشمول.. ولكن من غير إفصاح بل في صوت مبحوح ونغمة فاترة ونبرة خجلة"[3].

وهذا يدل على أنّ الشعراء قد عاشوا اغتراب بكل أنواعه وأكثر ما تجلى في تلك الفترة هو الاغتراب الروحي، لأنّ اغلب هؤلاء الشعراء توجهوا إلى الاغتراب الصوفي والإصلاحي." يعثر الباحث في أشعارهم على مدائح نبوية على نسق البردة والهمزية ،و على روح دينية قانعة بالعيش في المأساة

[1] : عبد الله الركيبي، دراسات في الشعر العربي الحديث مرجع سابق ،ص 11.

[2] : أبو القاسم سعد الله، دراسات في الأدب الجزائري الحديث مرجع سابق ، ص 23.

[3] : عبد الله الركيبي، دراسات في الشعر العربي الحديث، تقديم صالح جودت، كتب ثقافية، د ط، د ت، ص 13.

الذي كان يعانيها الشعب الجزائري كما يجد الباحث هؤلاء الشعراء يتواصون بالعمل النافع في العالم الآخر كأنهم على أبواب القبر"[1].

فكانت ظاهرة الاغتراب في ذلك العصر لأسباب حسية أو معنوية، إمّا أنّها نتيجة للاستعمار بصفة عامة أو سبب يعود للشاعر لذاته و نفسه.

2. الشعر الجزائري المعاصر(ما بعد الاستقلال):

بعد الاستقلال(1962) وعودة السلم والطمأنينة واسترجاع السيادة الوطنية، أصبح الشغل الشاغل للجزائريين هو كيفية بناء الجزائر من جديد وبعبث روح التفاؤل والأمل والإصرار على إعادة إعمار الجزائر و لكن و حسب الدراسات اعتُبرت تلك الفترة فترة ركود بالنسبة للشعراء الجزائريون ربما لأن آثار الاستعمار لم تختفي تماما سواء مادية أو معنوية ، وربما بسبب تبدل الأوضاع والأجواء ، كما أن دوافع الكتابة تغيرت على عكس ما كان متوقّعا تماما. يقول أبو القاسم سعد الله :"الظاهر أن الاستعمار لا يقتل الأدب ولكن يلوّنه بألوان مختلفة فيخلق مثلا أدب الرمز والأدب المنحرف الشّاذ، و يخلق الصراع بين الأدب المتحرر و الرجعي ،والظروف لا تقتل الأدب و لكنها تكيّفه فتجعل منه الادب الذاتي و الموضوعي"[2].

كما يؤكد أيضا في قوله "لكن روح اليأس التي سادت الجزائر كانت قد تجاوزته الى المظاهر الأخرى للحياة الجزائرية في مطلع القرن الحالي ،و ذلك نتيجة للصدمات و الهزائم التي منيت بها الجزائر كلما حاولت الانفلات من قبضة عدوها"[3].

---

[1] : أبو القاسم سعد الله، دراسات في الأدب الجزائري الحديث مرجع سابق ،ص 33,34.

[2] :أبو القاسم سعد الله دراسات في الادب الحديث: مرجع سابق ص56.

[3] :المرجع نفسه ،ص 34.

كما كانت فترة التسعينات في ما بعد المعروفة باسم العشرية السوداء من أقسى الفترات التي مرت على الشعب الجزائري، فقد كانت مجهولة العدو وأصبحت الحرب في البيت الواحد بين الإخوة والأهل، وكانت نتائج هذه الحرب وخيمة من الناحية البشرية والمادية والمعنوية، كان الشاعر نفسه نفس الشعب تأزم به الوضع، فجاءت أشعاره تحمل خيبة أمل وحزن على حال الجزائر.

و من خلال تتبعنا للدراسات السابقة لاحظنا أن أغلب الدراسات قسمت سيرورة الشعر الجزائري بعد الاستقلال الى مراحل و ذلك لشدة الاخلاف الذي حدث بين الفترات الزمنية كالتالي:

1_-مرحلة الستينات (مابعد الاستقلال)

تعد هذه المرحلة جديدة على الشعب الجزائري عامة و الشعراء الجزائريين بصفة خاصة ، (مرحلة الاستقلال) حيث استفاد منها الشعراء حينما تخلصوا من الاستعمار الفرنسي ليعيش الإبداع الجزائري متنفسا جديدا بعدما تخلص من الأوضاع التي عاشتها الجزائر إبان فترة الاستعمار، والمتغيرات الاجتماعية التي عاشتها البلاد بعد الاستقلال.

" تبين الدراسات النقدية والأدبية التي رصدت الحركة الشعرية خلال الفترة الواقعة بين عامي (62_68) أنها فترة الركود الأدبي وهذا ما قال عنه "أحمد دغان": "حيث أنها لم تشهد صدور ديوان شعري ينتمي إلى هذه المرحلة مهما كان مستواه الفني..."، إذ لم يستمر جل الشعراء في الإنتاج والمساهمة في بناء المرحلة الجديدة، فبعد حصول الشعب الجزائري على الاستقلال تبدلت الأجواء واختلفت الدوافع التي كانت تدفعهم للكتابة"[1].

فكان من المتوقع من الأدباء و الشعراء انتاجا غزيرا ، ليسجلوا لنا انجازات ما بعد الاستقلال بروح متأنية فنية مليئة بالإيجابية، يقول "عبد الله الركيبي : رأينا أن الشعر في هذه الفترة قد اتجه

[1] :موسى كراد : الاغتراب في الشعر الجزائري الحديث في العقدين الأخيرين من القرن العشرين ، مرجع سابق ،ص88.

هذا الاتجاه السلبي القاتم الذي لم يقدم حلولا..."[1] لكن حدث العكس تماما، فالشعراء انسحبوا من الساحة الأدبية أو كادوا ينسحبون. وإذا تعمقنا في الأسباب نجدها أسباب منطقية مثل "انصراف بعض الشعراء الرواد الى استكمال دراستهم العليا، و توجههم الى الأبحاث الأكاديمية، والانشغال بعدها بالتدريس في الجامعة و تحمل أمانة تكوين الأجيال الصاعدة"[2].

فتعتبر هذه المرحلة (فترة الستينات) حسب الدارسين للشعر الجزائري "مرحلة الحلقة المفقودة"[3].

2-مرحلة السبعينات:

هذه المرحلة مرحلة عرف المنتوج الشعري نوعا ما نهوضا مقارنة بالفترة السابقة أي ما بعد الاستقلال (الستينات)، والسبب في ذلك راجع الى "تحولات هامة في الميادين الاجتماعية ، والاقتصادية والثقافية،حيث شهدت أحداثا ثورية ...و في ظل هذه التحولات أخذت بوادر نهضة ثقافية تحل محل الركود الثقافي الذي كان سمة من سمات المرحلة السابقة"[4].

كما برزت أسماء شعرية جديدة شبابية فرضت مكانا لها في الساحة الأدبية "أمام الفراغ الذي شهدته المرحلة السابقة ،و خلو الساحة الأدبية من الإنتاج الشعري الجديد ،...ظهرت فئة من الشعراء الشباب راحوا يفرضون أنفسهم في المستويات الفنية ،والتجارب الشعرية، والحصيلة الثقافية"[5].

"ومع هذه الاستفاقة الشعرية" ظهرت أسماء جديدة لم تكن من قبل برز من بينها اتجاهين: اتجاه كتب الشعر العمودي والحر حاول التجدد في إطاره مثل: مصطفى الغماريي، جمال الطاهري، محمد الناصر، عبد الله حمادي، ورشيد أوزان والكثير غيرهم، واتجاه انصرف إلى الشعر الحر وأعلن

[1] :عبد الله الركيبي : دراسات في الشعر العربي الجزائري الحديث، مرجع سابق،ص13.
[2] : محمد ناصر،الشعر الجزائري الحديث ،اتجاهاته و خصائصه الفنية،دار الغرب الإسلامي ،بيروت ،لبنان،ط1، 1985،ص161.
[3] : موسى كراد : الاغتراب في الشعر الجزائري الحديث في العقدين الأخيرين من القرن العشرين،ص 88.
[4] : محمد ناصر،الشعر الجزائري الحديث ،اتجاهاته و خصائصه الفنية،مرجع سابق ،ص166.
[5] :المرجع نفسه ،ص 167.

القطيعة بينه وبين الشعر العمودي مثل: أحمد حمدي، محمد زتيلي، أحلام مستغانمي، وحمدي بحري... وغيرهم"[1].

"يقول 'محمد زتيلي': "يبدو لي من السبعينيات على الخصوص أننا كتبنا شعرا عربيا مشرقيا ولم نكتب شعرا جزائريا عربيا، وأنّ الأخوة المشارقة الذين مسحوا رؤوسنا وقالوا هذا الشعر عربي لم يكونوا في الواقع يريدون لنا إلا أن نظل أتباعا، لأن الأسماء التي تتصدر القائمة الشعرية في الجزائر زراقي، حمدي بحري، زتيلي.. وغيرهم وليس في الواقع إلاّ صورة مصغرة لأسماء لها وزنها في الساحة الشعرية العربية"[2].

لكن بالرغم من تميز هذه الفترة على الفترة السابقة وما "اتسمت به نفوس هؤلاء الشباب من حماسة و طموح ،و تطلع إلى الريادة الشعرية في البلاد ،فإن تجاربهم العرية –ككل بداية–كانت و ما تزال في حاجة الى تعميق و صقل و مران، فإن تكونهم الثقافي و الشعري،لم يساعد الكثير منهم على تقديم نماذج طيبة"[3].

وفي الأخير يمكن القول أنّ الشعر الجزائري في فترة السبعينيات حاول أن يواكب تلك الفترة موازاتا للشعري العربي، لكنه كان يفتقد الوعي بمنطلقات الحداثة بأبعادها الفنية.

3–مرحلة الثمانينات:

بتغير الزمن تغير المنتوج الشعري مجددا، فمن الطبيعي أن يختلف شعر هذه الفترة عن شعر الفترة السابقة ، "فالحركة الشعرية الجزائرية مرحلة الثمانينات كانت تحاول تبوأ مكانة مغايرة لما كان موجودا

[1] : المرجع نفسه ،ص 167.

[2] : : موسى كراد: الاغتراب في الشعر الجزائري الحديث في العقدين الأخيرين من القرن العشرين المرجع سابق : ص 97.

[3] : محمد ناصر،الشعر الجزائري الحديث ،اتجاهاته و خصائصه الفنية،مرجع سابق،ص168.

، بمعنى اكتساب آليات التعبير الشعري الذي يمكن له أن يتألق ،و يفرض طرائق بديلة لمرحلة السبعينات "[1].

كانت هذه المرحلة مرحلة معاكسة تماما للمرحلة التي قبلها: أي السبعينات، لأنها اختلفت نوعا ما من حيث الشكل و المضمون ، "إننا لا ندعي أنّ مرحلة الثمانينات الشعرية قد تنكرت لموروثها السابق وإنما كان لزاما على جيل ما بعد السبعينات أن يتحسس الأرضية التي يقف عليها، فوجد أنّ الانطواء تحت المد الإيديولوجي السابق لم يعد له جدوى، كما أنّ الالتفات دوما إلى الرياح الآتية من المشرق العربي صارت تتكسر عند الرغبة الجامحة في صنع الكيان شعري له خصوصياته، وعدم السقوط في دائرة التقليد"[2].

"انطلق شعراء هذه المرحلة كرد فعل طبيعي عن المرحلة السابقة حيث لاحظوا أنّ السيطرة الإيديولوجية جرت الويلات على الشعر من حيث البنية والموضوعات وكل ما يتعلق بالشعر فقد كانت التجربة الشعرية الجزائرية مترددة بشكل واضح بين الحداثة والتقليد في مرحلة السبعينيات" لهذا انتفض الشعراء وقرروا خوض تجربة جديدة تستفيد من تراثها وتحاور النص الجديد، محاولة الخروج بنص أكثر حداثة ويتماشى مع تطلعات المتلقي والشاعر الجزائري، فجاء النص المختلف الذي لم يرفض النص التقليدي بل وضعه في موقفه المناسب "ومن جهة أخرى اخذ من الحداثة الشعرية ما يناسبه ليتشكل النص الجزائري المختلف الذي عُرف بنص التجاوز"[3].

فنص الثمانينيات عرف تغيّرا كبيرا على الآخر فعلى الرغم من الظروف السياسية التي كانت سائدة في الجزائر في تلك الفترة و أهمها رحيل الرئيس "هواري بو مدين" "ظلت الحركة الشعرية مصرة

[1] :عبد المالك ضيف، الأثر، مجلة الآداب و اللغات ،جامعة ورقلة ،الجزائر،العدد04،ماي2005.ص 36.

[2] : عبد المالك ضيف، الأثر، مجلة الآداب واللغات، جامعة ورقلة، الجزائر، العدد04، ماي2005.ص 36.

[3] : موسى كراد: الاغتراب في الشعر الجزائري الحديث في العقدين الأخيرين من القرن العشرين المرجع سابق: ص99

على مواصلة العطاء، على الرغم من المؤثرات الكثيرة التي كانت تصيب الوعي الثقافي للأمة الجزائرية من جراء مختلف التحولات السياسية ...يرى الباحث عبد المالك مرتاض أن مرحلة الستينات تميزت بالضحالة الإبداعية، والرداءة الفنية، ومرحلة السبعينات بالتطلع إلى التجديد ، والرغبة الجامحة في التجويد ،و مرحلة الثمانينات بغزارة أكثر في الكتابة ،والجودة الفنية ،و تعددية أشمل في الرؤية و التجريب"[1]. من خلال ما سبق نستنتج أن القفزة النوعية للشعر في الثمانينات بدأت أواصره في الفترة السابقة له –السبعينات– ، فنستطيع أن نقول أنهما فترتين متكاملتين ساهمت كل منهما في تطوير الحركة الشعرية بعد الاستقلال.

4–مرحلة التسعينات:

مع نهاية الثمانينات و بدايات التسعينات كان من المتوقع تغيير في الحركة الشعرية كما هو الحال في الفترات السابقة "فقد عرفت التجربة الشعرية الجزائرية عدة تحولات في البنية و الشكل على سواءو ظهر خطاب شعري يتماشى و التغيرات الحاصلة في الجزائر ،والعالم العربي و هذا مع جيل جديد أظهر تحكما في الأداة الفنية و بعدا عن الشاعرتيةو التبعية للآخر–السياسي– مستفيدا من الموروث السابق ،و محاولا لتأسيس لنص شعري جزائري يحمل الخصوصية الذاتية و الوطنية "[2].

"وهذا ليس غريبا لأنه الجيل الذي بدأ مسيرته الشعرية في الثمانينات وواصل في التسعينات، إذ عرفت القصيدة مع هذا الجيل سمات حداثية فنية، إذ يُقر 'عبد المالك مرتاض' أنّ "فترة الثمانين والتسعين من أخصب الفترات عطاء شعريا في القرن العشرين"[3].

[1] : عبد المالك ضيف، الأثر، مجلة الآداب واللغات، جامعة ورقلة، الجزائر، العدد04، ماي2005، ص 37.
[2] :كمال فنينش ،البناء الفني في الشعر الجزائري المعاصر ،مرحلة التحولات، (2000،1988)، مذكرة ماجيستير جامعة قسنطينة،2010،2009، ص:06.
[3] : موسى كراد: الاغتراب في الشعر الجزائري الحديث في العقدين الاخيرين من القرن العشرين: مرجع سابق ص:103

فالتحولات في هذه المرحلة من ناحية المتن ومن ناحية الشكل وغيرها من التحولات شملت الجانب الشكلي والموضوعاتي، وتميزت أغلبها بالجدّة والابتكار ومسايرة الحركة الشعرية العربية والعالمية من جهة وكشف الواقع الجزائري والعربي بكل معطياته وملابساته الايجابية والسلبية.

كانت هذه أهم التطورات التي طرأت على الحركة الشعرية في فترة ما بعد الاستقلال ،حيث قسمتها أغلب الدراسات إلى أربع فترات، رغم الاختلاف الذي ينتج بين فترة و أخرى إلا أن هناك تكامل بينهم إذ تعتبر كل فترة مكملة للفترة التي سبقتها خاصة في ما يخص فترة السبعينات و الثمانينات ،كما لاننكر دور الظروف الاجتماعية والسياسية السائدة في كل فترة على تغيير مسار الحركة الشعرية.

الفصل الثانـي:

تجلّيات الاغتراب في ديوان
"إلى وجهي الذي لا يرانـي"
للشاعر
"رابح ظريف"

ديوان "إلى وجهي الذي لا يراني":

يُعرف عن الشاعر 'رابح ظريف' "أنه شاعر يكتب بقلمه ويغمس قلمه في حبر عاطفته، ففي "23 يوليو 2014م – أبو ظبي–"، صدر عن أكاديمية الشعر في لجنة إدارة المهرجانات والبرامج الثقافية والتراثية بأبو ظبي ديوان للشاعر الجزائري 'رابح ظريف'، أحد نجوم مسابقة "أمير الشعراء" الحائز فيها على لقب شاعر الرسالة في موسمه الثاني بعنوان "إلى وجهي الذي لا يراني". ويقع الكتاب على 119 صفحة من القطع المتوسط متضمنا 19 قصيدة متنوعة.

كتب الشاعر – رابح ظريف – قصائد ديوانه في فترات مختلفة خلال العشر سنوات الأخيرة، وهو عبارة عن مجموعة شعرية تحوي قصائد كثيرة تتناول مواضيع مختلفة ومتعددة عن جوانب شتى من الحياة، كما تعالج بعض التجارب الإنسانية عن الحب والطموح والحرية.

أما العنوان "إلى وجهي الذي لا يراني" فهو لإحدى قصائده التي شارك بها في مسابقة "أمير الشعراء"، انتقل فيها الشاعر من التفكير إلى التصوير ثم التأكيد والنّص مبني على تقنية المفارقة والتي تولد الكثير من الظرف الجميل، كما أنّ صياغته محكمة، وهناك مخاطب في النص وهو الذات، والقصيدة ظلية وبها امتداد طويل هتك البنية ولا يمكننا أن نتجاهل ما في قصيدة "إلى وجهي الذي لا يراني" من مضمون نبيل وذاتية طافحة والتي تعبر عن حضور الذات بصرامة حيث أقام الشاعر حوارا داخليا جيّدا وظف من خلاله الأحداث والألوان والأضواء"[1]

كشف الشاعر في تصريح للفخر عن سبب اختياره للعنوان "إلى وجهي الذي لا يراني" أنّه يخاطب الذات والحديث إلى الوجه الذي نراه في المرآة ولا يرانا، وهل كما يرى الإنسان وجه المرآة هو كما يراه الآخرون حيث اعتبر وجود أسئلة كثيرة تطرح في المنوال ذاته موضحا أن أغلب المجموعة الشعرية

[1] : صحيفة الاتحاد، الإمارات، الثلاثاء 22 يوليو 2014/ 00:55.

تتحرك في هذا المجال، وفي السياق ذاته نوّه المتحدث إلى عدم إصدار هذا الديوان تزامن مع احتضان الجزائر لفاعليات الطبعة ال17 لمعرض الكتاب الدولي إلى أنّه كان من المفروض أن يتم ذلك لولا بعض الصعوبات الفنية التي أدّت إلى تأخير إطلاق العمل في وقته المحدّد"[1] .

"هذا الديوان هو تعبير عن خبرات شخصية ووجدانيات، لكن ما يميزه هو الدفء الذي ينبعث من كل قصائده، هو ديوان تلاطف قصائده كيان القارئ وحسّة الفني، إنّ الدخول في عالم 'رابح ظريف'، يعني أن يشدّك الشغف لقراءة ذاكرة مكان مطرّزة بالحب والشغف والوطن، وما بينهما من اضلالات وشخوص، شكّلت خيطا حقيقيا في نصّه الشعري، تصطبغ القصائد كلّها بوفاء ولطف الشاعر، وهو دفء رافق الشاعر كلّ حياته لذلك هو ظاهر في كل الديوان، في القصائد التي كتبها خلال العشر سنوات الماضية، كلّها تتسم بنفس الثقة والنضج والحب واللّطف والصّدق، مما يدل على أنّ الشاعر هو نفسه حتى الآن العاشق، اللطيف، المحب، الصديق، الصادق، المثقف، الرحالة، الوطني، الوفي، الروحاني، الصوفي"[2].

وسنحاول من خلال هذا الديوان تتبع أبرز أنواع الاغتراب عند الشاعر:

1: قراءة العنوان:

يُقال العنوان بوابة النص، ولابد قبل الشروع في أي دراسة أدبية أو نقدية من التطرق اليه ومحاولة فهم العمل الأدبي من خلال عنوانه، ومن النظرة الأولى إلى عنوان الديوان: "إلى وجهي الذي لا يراني" فإنّنا نجد أن الشاعر قد اختار عنوانه بكل عناية فنيّة وشاعرية.

[1] : جريدة الفجر، نشر بواسطة حسان مرابط في الفجر، يوم 31 – 08 – 2012./www.djazairess.com

[2] : صحيفة الإتحاد، الإمارات، الثلاثاء 22 يوليو 2014/ 00:55. www-alittihad-ae.cdn.ampproject.org

فملامح الاغتراب في هذا الديوان ظاهرة من عنوانه، فالشاعر هنا كأنّه منفصل عن ذاته ويخاطبها فعندما سئل الشاعر –رابح ظريف– في إحدى المقابلات الصحفية عن سبب اختياره لهذا العنوان بالتحديد أجاب بأنّه يخاطب الذات، ويخاطب الوجه الذي نراه في المرآة ولا يرانا.

فهذا العنوان يمكن اعتباره عنوانا إيحائيا، فهو يوحي إلى ظاهرة الاغتراب وانفصال الإنسان عن ذاته.

2: أنواع الاغتراب في ديوان "إلى وجهي الذي لا يراني":

استهلّ الشاعر ديوانه ***"بالتفاتة"*** :

ها عدتُ مستسلمًا للأمس والآتي

معي يدي ... ومعي قلبي ويذلاتي

كأنّها الأرض طافت بي ... وما وجدتْ

كما أردت ... ختامًا للبداياتِ

حطت عصافيري البيضاء متعبةً

لمَّا استرحتُ ... ونامت فوق مأساتي

تمرُّ في البال ذكرى الغائبين ... كمَا

لو أنّهم نغمٌ قفَّى نداءاتي[1]

[1] : رابح ظريف، ديوان إلى وجهي الذي لا يراني، المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر والإشهار، وحدة الطباعة الرويبة، 2013م، ص 09.

في هذه الأسطر القليلة نرى أنّ الشاعر 'رابح ظريف' وكأنّه ينشأ حوارا مع ذاته أو بالأحرى (مونولوج)، يصوّر من خلاله حزنه واستلامه وحسرته، فالإنسان بطبعه حالم ومتعطّش لتحقيق أمانيه وأحلامه، وإذا عجز عن تحقيق بغيته احتواه الاغتراب ومسّ نفسه الحزن.

ففي هذه الالتفاتة التمسنا اغترابا عن الذات، واغترابا اجتماعيا، فالشاعر لا يرى لحياته معنى، فكل أفكاره بلا هدف لذلك يزداد شعوره بالضياع والألم:

كدمعة ... سقطت سهوا على شفتي

فأحرقت ألف فصل من حكاياتي

تمرّ تسأل عن عشب بذاكرتي

وعن شواطئَ لم تقنعْ بموجاتي

قالت عيوني لغيم ظلّ يسألها

عني عرفتك يا من كنت دمعاتي

وأخبرت خطواتي ظلّها حلما

رأته ليلة نام اللّيل في ذاتي[1]

[1] : رابح ظريف : ديوان "إلى وجهي الذي لا يراني "ص 10.

والفرد عندما يشعر بالاغتراب يحدث شرخ كبير بقلبه فتتصدّع علاقته الاجتماعية، فلا يعود يبالي بمن حوله ولأحد يبالي به، فتقتل الشفقة والحب بين النّاس ويضيع الاطمئنان. ومهما حاول الشاعر تجاوز اغترابه الاجتماعي إلّا أنّه يجد نفسه محاصرا بأفكار تختلف عن أفكاره:

قد عدت ينكرني دربي ... وتذكرني

هناك خلف جبال التل خيماتي

الشيخ صفّق والدّرياس لوّح لي

واستقبل الشّاي والنّعناع خطواتي

كان الجميع ورائي في خطاي كما

لو أنّهم أثري إثر التفاتاتي

أحبّتي

خلف هذا اللّيل..

لي قمر

ما عاد يشبه في عينيّ

مأساتي[1]

" الأشخاص الذين يحيون حياة عزلة و اغتراب لا يرون قيمة كبيرة لكثير من الأهداف و المفاهيم

[1] : رابح ظريف، ديوان إلى وجهي الذي لا يراني، ص 11، 12.

التي يثمنها أفراد المجتمع"[1]

ففي هذه الأبيات التي ختم بها التفاتته الشاعر يعيش حالة من العزلة الاجتماعية بعيدا عن أهله وأحبابه، يصارع الألم والحسرة وحيدا.

قصيدة "إلى وجهي الذي لا يراني":

هي القصيدة الثانية من الديوان وفيها يخاطب الشاعر ذاته بشكل مباشر يقول:

أعلنُ الآنَ

لأنّي متعبٌ

من ظنوني

فيقيني

السّهرُ

****

قرّبْ يديك إلى يديّ

فإنّنا..

طفلان تاها في الزّحام

وضاعا..[2]

في هذه القصيدة شبّه الشاعر شخصه وذاته إلى طفلان صغيران تاها في الزحمة، وهذه كناية واضحة عن الاغتراب الذي يعيشه الشاعر بينه وبين ذاته في زحمة المجتمع الذي يعيش فيه. فأحزانه

[1] :د. عبد اللطيف محمد خليفة: دراسات في سيكولوجية الاغتراب، مرجع سابق ص: 39

[2] : رابح ظريف، ديوان إلى وجهي الذي لا يراني، ص 15، 16.

وآهاته في هذه القصيدة هي المترجمة لمعاناته، فإنتاجه مغترب عن الكل وبالتالي فإنّ ذاته تعاني من الاغتراب، فلا معنى لكلماته وحروفه وسيعرف بعد انقضاء عمره أنّه لم يجني سوى آلام تحرق نفسه.

ويقول أيضا في نفس القصيدة:

سر في فؤادي واطرق الأبوابا

إن لم تجد وطنا .. تجد أحبابا

واقرأ على صفحات قلبي ما تشاء

فقد قرأتُ.. وما ختمتُ كتابا

تلقى بحارُكَ موجَها من أعيني

فاشرح دموعك .. واجرح الأهدابا

هذي سواقي الروح تسأل منبعي

ماءً.. ولكن لا يرد جوابا[1]

ويقول أيضا:

أُهْديكَ منْ عينيَّ دمعَهُما.. فلا

تبخلْ عليك الكرم والأعنابَا

[1] : رابح ظريف، ديوان إلى وجهي الذي لا يراني، ص 18.

إنّي أهديتُ إليك حين وجدُتني

وحدِي .. فكنْتَ الأهْلَ والأصحابا[1]

يعاني الشاعر الاغتراب عن الآخر، وهو إحدى عوامل الاغتراب الذاتي يعني عدم الشعور بالحب والود اتجاه الآخرين فلم يجد إلّا ذات في وحدته. وربّما سبب هذه الوحدة هو الشعور بأنّ الماديات قد سيطرت على العالم فألغت الوجدانيات، وبذلك يسود الشعور بأنّ الآخرين لا يكترثون بالمشاعر الشخصية، فانعدم الأمن النفسي عنده.

قصيدة "نداء الوريد":

سر في الوريد .. وحدِّثِ الشريانا

إن لم تجدْ نبضًا.. تجدْ وجدانا

واعبر شوارِعَكَ التّي في بسمتي

واسْنِدْ إلى جُذُرَانَها الأحزانا

واجلسْ قربَ بيتِك في دمي

واسألْ خلالَ ملامِحي خلّانا

واجرح يدي لترى كمَانك في دمي

[1] : رابح ظريف، ديوان إلى وجهي الذي لا يراني، ص 19، 20.

واهدأْ.. ليسمعَنا به قلبانا[1]

ويقول كذلك في نفس القصيدة:

لم ألقَ متَّكأً سواكَ.. فضُمَّني

واجعلْ خطاكَ لغربتي عنوانَا

مدنٌ على قلقِ الخُطى مرفوعةٌ

لم ألقَ في إسمها الإنسانا[2]

الشاعر اتخذ من ذاته صديقا له يلجأ إليه كلّ ما ضاقت به دنياه وشعر بالغربة، ومن خلال هذه القصيدة وكأنّ الشاعر يعيش في مكان غير مكانه، كما يبدو وحيدا وهذا ما جعله يخاطب ذاته. فالهوّة تتّسع بين الشّاعر ومدينته ويتطوّر شعور الاغتراب عنده إلى ما يمكن أن نسمّيه العجز عن التواصل، وهو شعور عام لدى شعراء المدينة العرب بغض النظر عن ميولاتهم واعتقاداتهم.

لم يقف الاغتراب عن مكانه فقط وإنّما يعاني حتى في بعض الأحيان من الاغتراب عن ذاته، فهو في وضع غير مستقر، فيقول:

والعينُ قدْ تبكي فتجرح حدّها

لكنّها لن تجرح الأجفانا

وأنا وأنتَ إذا اختلفنا ساعة

[1] : رابح ظريف: ديوان "إلى وجهي الذي لا يراني"، ص 25.

[2] : المصدر نفسه، ص 26.

سنظل نجمع بيننا أزمانا

وجهان تجمعنا المرايا.. كلما أنـ

ـكسرت يلم زجاجها وجهانا[1]

الإنسان وذاته وجهان لعملة واحدة لا يمكنه الانفصال عنها حتى وإن واجه في بعض الأحيان اختلافا مع ذاته وشعر بالاغتراب عنها.

قصيدة "نوتات":

خارج اللحظة تمتدُّ الأغاني

من زمان ليس لي.. نحو زماني

كنت أعلنت الهوى لي وطنًا

وتذكَّرت به جمر الأغاني

وتجلّيت له في شوقه

ليرى الدمعة مني أو يراني

قد جمعت العمر في بسمته

ثم ألقْيت له كل الأماني[2]

[1] : رابح ظريف، ديوان إلى وجهي الذي لا يراني، ص 28.

[2] : المصدر نفسه، ص 29.

وكأنّ الشاعر غير منتقي لزمانه ومكانه، يشعر باختلاف عن الآخرين ولا يستطيع التأقلم مع ما يدور حوله، فيسايره القلق والتساؤل والحيرة. هذا حال المغترب اللامنتمي، فالشعور بالاغتراب داخل

أعماق الشاعر ينتج من خلال رؤية مبتصرة للوضع الذي يعيشه من حوله، والذي في غالب الأحيان لا يوافق طموحاته. ونجده يقول كذلك:

حجَّت الدمعة مني نحوه

فارتمى في القلب ثم اعتمرا

منذ ضيَّعت اتِّجاهي وأنا

أسأل الله وأشكو القمرا

علَّ من تاهت ورائي تقتفي

أثري.. ثمَّ تكون الأثرا[1]

يعاني الشاعر من الضّياع ويشكو ألمه إلى الله لعلّه يجد المخرج، فالشاعر يعاني اكتئابا إبداعيا، نجده يبحث عن ذاته من خلال ما يحيط به، فالصورة من حوله مضطربة ممَّا أدّى إلى شعوره بالضياع والحزن، يقول:

كلَّما فكَّرت في حلم قديم

هارب مني تناسيت غدي

[1] : رابح ظريف، ديوان إلى وجهي الذي لا يراني، ص 31، 32.

وتذكَّرتُ حريقَ الكأس والنَّـ

نار التي تغسل في الجمر يدي[1]

فحياة الإنسان مرتبطة بأحلامه وأمانيه، فإذا فقدها فقد معنى لحياته، ويصبح كالغريب لا يحتويه مكان ولا زمان.

قصيدة "كلام في الحب والندم":

أحببتُه.. فاللّيالي لا تسّلم لي

بدرا أحبُّ إلى عينيَّ من مقلي

واشتقته.. فصباحاتي مؤجّلة

حتّى أراه.. ويصحو عنده أملي

بالغت في حبّه حتّى تهيّأ لي

أنّي اكتفيتُ.. ولكن قد تهيّأ لي

هو النّبيّ.. ولا أدري أتسبقُني

روحي لتلقاه عند الله.. أم جُملي[2]

[1] : رابح ظريف :"إلى وجهي الذي لا يراني"، ص 32، 33.

[2] : المصدر نفسه، ص 41.

كما ذكرنا سابقا في الفصل الأوّل، فإن المكوّن الديني في الشخصية الجزائرية له حضور مميّز وملمح بارز.

فالشاعر في هذه القصيدة يتغنّى بأعظم شخصية في التّاريخ وهو نبيّنا محمّد صلى الله عليه وسلّم ويتوق للقياه، فهو يصف لنا حبّه واشتياقه الشديد له. عدا عن ذلك فإنّ الشاعر يعاني غربة من مجتمعه، ويعيش حالة من الحزن والألم، يقول:

وأتيتُ بابك يا محمّد باكيًا

لما تمادى الدِّيُر والمحرابُ

****

لا أطلب الحبَّ ما لم تضم السحبُ

كلاهما في عيوني الزادُ والطلبُ[1]

ويشكو خيبات أهله وفرقة أحبابه فيقول في نفس القصيدة:

الآن أبكي على ما قد مضى غدا

لن ينفعَ الدَّمعُ يا عيني ولا النَّدمُ

لمَّا أُمِرْتُ.. وقادتني خطايَ له

وددتُ لو أنّها لم تمش بي قدمُ

كلُّ الذين شكوت الله بُعدَهم

[1] : رابح ظريف، ديوان إلى وجهي الذي لا يراني، ص 43، 44.

بالأمسِ قد صرتُ أشكو اللهَ قربَهُمُو

تبرأ القلب من حبِّي لهم وشكا

دمعي وفائَهمو .. فالخائنون همو

وقفت لم أدر أن النار واقفة

جنبي.. وأنّيَ وحدي الآن متَّهمُ[1]

من الواضح أنّ الشاعر يعيش حالة من الحزن والنّدم والحرقة فهو يشكو ألمه إلى الله، وخيبة أمله بمن حسبهم أحبابه أصحابه، فبعد أن تألّم من فراقه أصبح يشكو إلى الله من قربهم فهو كالذي طعن في ظهره، فكل عباراته لا تخلو من معاني الألم والخيانة والحزن، فيسير إلى الله باحثا عن مأوى فهو مغترب في دنياه.

قصيدة "فوضى":

من الذين نحبّهم..

مر الغمامُ

مرت حروفي..

ساحة الكلمات

يهجرها الكلامُ

تأتي ممزَّقة شوارعُها

[1] : رابح ظريف، ديوان إلى وجهي الذي لا يراني، 46، 47.

فيأويها الحطامُ

مرّ الذين تنفسوا من جرحها

مر الصباح على المساء..[1]

من خلال هذه المقدمة الطللية للقصيدة، الشاعر وكأنّه يبكي على زمن مضى وانقضى وكأنّه يعيش في زمن غير زمنه ومكان غير مكانه. ونجده يقول أيضا في نفس القصيدة:

كيَدي التي احترقت .. ستحرقينَ

كنت صبيةً وكبرتُ

مازالت أمانينا معلَّقة على

تلك الشبابيك البعيدةِ[2]

إن الشاعر يعيش حالة من العجز وفقدان السيطرة تجاه تحقيق ما يطمح إليه، وشعوره بالإحباط الناتج عن فجوة ما يتوقع من نتائج وما يتمنّاه حقيقة، وأنّه غير قادر على التأثير في المواقف الاجتماعية التي تحيط به.

يقول كذلك:

بعد اختياري للرحيلِ

وبعد أن رحلت معي

في ضفة أخرى

وهاهو أمسي واضحا

في الضفة الأخرى

[1] : رابح ظريف: "إلى وجهي الذي لا يراني"، ص 49.

[2] : المصدر نفسه، ص 50.

سأعود يا أمسي

ومركبي الظلامُ.[1]

يعيش الشاعر حالة من الفوضى والحيرة بين ماضيه وحاضره بين الرحيل والعودة، وكأن لا مغزى ولا معنى لحياته وهذا ناتج عن شعوره بالغربة، فهو غير راضي عن المساومات التي يقوم بها.

في الجزء الأخير من القصيدة يحاكي الشاعر ذاته فيقول:

أحتال من أجلها .. لو تنفع الحيلُ

وقد أعلِّل .. لكن المنى عللُ

أحتال لو أنها كانت معي امرأة

وقد أحاول .. إلا أنّني رجلُ

رسمتُ ألفَ طريقٍ كي أقابلَها

لكنَّها طرقات الحبِّ .. لا تصلُ

مشتْ بي الأرض نحو اللّيل واتجهت

بها إلى حيث لم تنعم بنا سبلُ[2]

[1] : رابح ظريف: "إلى وجهي الذي لا يراني"، ص 53.

[2] : المصدر نفسه، ص 54.

مثل عنوان هذه القصيدة الشاعر تائه في فوضى، ويحدّث ذاته القديمة التي فقدها كما فقد الذين يحبهم، وكل محاولاته لاسترجاعها باءت بالفشل، فهو يعيش حالة من الغربة عن ذاته، ويستصعب فقدانها.

قصيدة "قلق":

انطلاقا "قلق" واضح ما يعانيه الشاعر من قلق وحيرة واكتئاب، وهذا أمر طبيعي فكل إنسان معرض لفترة من الضيق، فيشعر بالحزن والقلق والاكتئاب فيخلو بنفسه إلى أن يصفو خاطره، يقول:

قَلَقٌ علَى كفَّين تَرْتَجِفَانِ

وفمٌ يُعيدُ البَوحَ للكتمانِ

عَينانِ لمْ أَقرَأْ علَى جَفْنَيْهمَا

إلَّا حَنِينَهُمَا إلَى أَجْفَانِي

الثَّغرُ يَفضَحُ حينَ تَهْمسُ موعدًا

سرَقَ المكانَ .. وتَابَ في أحضَاني

ما الخَدّ إلا وردة مذبوحَة

أذنت ببَدء جَنَازَة الألوَان[1]

[1] : رابح ظرف، ديوان إلى وجهي الذي لا يراني، ص 61.

فبداية من مقدّمة القصيدة واضح أنّ الشاعر يعيش حالة من العزلة عن الدنيا وأهلها ودخل إلى كهف الأحزان، فالاكتئاب هو حالة من الحزن المستمر الذي ينتج عن الظروف الأليمة سواء اجتماعية أو نفسية كما هو تعبير عن شيء مفقود.

ويقول أيضا:

قلقٌ على كفّين لمْ أَلْمَسْهُمَا

إلا لأنَّ عَلَيهِمَا عُنْوَانِي

من أَجْلِ هذا الحُبِّ تَاهَتْ فَرْحَتِي

ولأجْلِهِ .. غَنَّتْ مَعِي أَحْزَانِي

رتَّبْتُ كَي أَهْوَاكِ قَلبًا حَالِمًا

وَحُرِمْتُ مِنْهُ .. وَشَقَّنِي حِرْمَاني

هذي مَجاري الشَّوْقِ تَسقِي عُشبَهُ

وَتمدُّها غَيماتُ من أجفاني[1]

الشاعر يعيش حالة من فقدان الذات وذلك بسب فقدان الحب، فترجم شعوره بالغربة على شكل قلق وحزن، هذا الحزن الذي يعيشه الشاعر هو ما يدفع المبدع من أجل خلق إبداعي جديد. فالكآبة

[1] : رابح ظريف، ديوان إلى وجهي الذي لا يراني، ص 62، 63.

عندما تلف بالنفس تجعلها تشعر بغربتها عمن حولها، فالشاعر يعيش في صراع داخلي بسبب ما يعيشه من ألم وحزن واغتراب.

قصيدة "رجل كالحرير":

رجل كالحرير / تملّى جبيني،

ومرر كفاعلي كتفي / أيقظ البال من فتنة الصحو / قال

يحدث كالأنبياء:

– غدا سأعد لشمسك مجرى يليق بيتمك

– يا سيّدي كم ستستغرق الشمس من زمن

لأنامْ..؟

– قليلا من الانكسارْ..

– سيدي!

ومضى يتجرَّد من سرّه كالنَّهار /[1]

تتملك الشاعر حالة من العزلة الاجتماعية وحتى عن ذاته، فحالته شبيهة بالبيت الذي فقد كل شيء ويصارع مرارة الحياة لوحده. حتى أنّه من شدة وحدته وألمه أصبح يعيش بما يسعى بأحلام اليقظة، كأنّها الهروب من ذاته الحقيقية والهروب من الواقع الأليم، حيث يتخيل دائما بأن رجلا جاء ليحدثه، شبهه بالحرير والأنبياء وكأنّه يحس براحة شديدة عند الحديث معه، فكان هذا الرجل الأنيس الوحيد لهذا الشاعر في ظلمته التي لم يستطيع الخروج منها

[1] : رابح ظريف، ديوان إلى وجهي الذي لا يراني، ص 67.

كل هذه المعاني تدل على الاغتراب الذاتي والاجتماعي الذي يعيشها الشاعر نتيجة العوامل النفسية والاجتماعية التي أتعبته وأرهقته. ففي القصيدة يخاطب الناس ويقول:

أنا شاعر أيّها الناس..

أنا متعب أيّها الشعراء

أنا راحل أيّها المتعبون..

تسيرون خلفي كحلمي الذي لا أراه..

هو اليتم أعلنني شجرا يستظل به

واختفى في سماه..[1]

وصل الشاعر إلى درجة عالية من التعب واليأس وكأنّه غريب عن هذا العالم، حتى أنّه ينتظر رحيله بفارغ الصبر، بسبب معاناته في إثبات نفسه في مجاله مع الشعراء، فكل عباراته تحمل في طياتها معاني الموت والرحيل (كفن، جنازة، موت). ويختتم قصيدته وهو يحدّث الرجل الذي يظهر له في مخيّلته مخاطبا إيّاه:

على غفلة منك يا رجلا كالحرير / مشيت معي متعبا،

ويقول أيضا:

أيا رجلا كالحرير / أنا شاعر جئت أحمل في شفتي

كفني..[2]

كأنّه يعترف أن شعره هو سبب موته، دخل مجال الشعر وهو يعلم أنّ نهايته ورحيله بسببه، ثم ينهي حديثه في الأخير بنقاط لا متناهية كأنّ للحديث بقية، لكنّه احتار السكوت.

[1] : رابح ظريف :"إلى وجهي الذي لا يراني"، ص 69.

[2] : المصدر نفسه، ص 70.

قصيدة "الليل يغيّر رأيه في الظلام":

مساءً

وقد غيّر الليل أراءه في الظلامْ

سمعَ النّاسُ أصواتَهم في الشّوارعِ

فالْتَحَموا في الزّحامْ

كأُغنيةٍ لمْ يجدها المُلحِّنُ

أو مثلَ تسبيحة

لم يقلها الإمامْ

وجد النّاسُ أصواتَهم

((لن نعودَ إلى الفجرِ

حتَّى نُغيّرَ شكلَ الظَّلام))[1]

في هذه القصيدة يتوجّه الشاعر توجيها سياسيا، يتحدث عن شعور الفرد بعدم الرضا وعدم الارتياح للقيادة السياسية والرغبة في الابتعاد عنها وعن التوجهات السياسية الحكومية والنظام السياسي برمته.

في هذه القصيدة يتحدث الشاعر بصفة خاصة عن سقوط النظام في مصر في فترة حكم الرئيس الأسبق حسني مبارك.

فقد غيّر اللّيل آراءه في الظلام

وغيّرت امرأة في شوارع مصر

طريقها في الكلامْ[2]

[1] : رابح ظريف: ديوان "إلى وجهي الذي لا يراني"، ص 71.

[2] : المصدر نفسه ، ص 72.

ويقول أيضا: واخْتفى النَّاسُ من حيّه .. وقبل المساء اختفت مصرُ من

شعبها.. واختفى الشّعبُ من مصره.

هكذا

كان في شارعِ العتبةْ

نادلٌ يتحدّثُ في سرّه للحمامْ

ولكنّه الآنْ

من بعدما غيّر الليل آراءه في الظلامْ

سيواصلُ شكواهُ

ليس لسينيّة الشايْ

بل لسقوطِ النظامْ.[1]

فهو يخص بالحديث ثورة الشعب المصري ضد النظام، "ففي 25 يناير 2011م الموافق للاحتفالات الرسمية بعيد الشرطة، أعلن يوم غضب للشعب المصري متأثرين بالثورة الشعبية التونسية، فلبى آلاف المحتجّين الدعوة وخرجت المظاهرات السلمية في مختلف أرجاء مصر. فقد كانت المظاهرة ضد الفقر، الجهل، البطالة والغلاء، ويطالبون برحيل الحكومة"[2].

حيث صوّر لنا الشاعر الوضع السياسي الذي يقوم على تقاسم السلطة، ليس بالحوار والشورى وإنّما بالصراع والاقتتال، ممّا أدّى إلى انتشار الفوضى والخراب في البلد، وطبعا الشعب دائما هو الضحية الذي عانى الاغتراب الوجودي أي عدم الاستقرار والسلام.

[1] : رابح ظريف: ديوان "إلى وجهي الذي لا يراني":، ص 74.

[2] : مظاهرات غضب بمصر الثلاثاء، موقع الجزيرة 204– 01– 23 / نسخة محفوظة، 04 مارس 2011م على موقع واي باك..www.de aljazeera.net

كما صوّر لنا صرخة الشعب أو بالأحرى صرخة المواطن البسيط الذي سُلب من أبسط حقوقه في بلده. يقول:

فسارَ الفتى في سلامْ

أريد التحرّر من كفني يا بلادي

أريد التحرُّرَ

من جبروتِ النِّظامْ

وسار إلى الليل

حين تأكد من أنَّها الشرطةُ العسكريَّة

لا الياسمينْ

ومنه أنَّه رجل لا جنين[1]

فليس مستغربا أن يصبح الوطن منفى كبير، والشّعب وطنا يمارس فيه الإنسان حريته المستلبة خارجا، مادام الوطن محاصرا بقائمة طويلة من الممنوعات التي تتصل بحرية الفرد الشخصية.

حيث صوّر لنا الشاعر المواطن المصري وكأنّه استفاق من عالم الخيال والسكينة والاطمئنان لينصدم بالواقع، فبعد أن ظن أنّه يعيش في بلاد ديمقراطي تسوده الحرية أصبح ينادي بسقوط النظام الظالم. فليس خفيا أنّ الشاعر لا يمكن أن يكتب بعيدا عن الظروف التي يعيشها كذات سواء في الوطن أو الوطن العربي ككل، خاصة ما يتعلّق بالظروف السياسية.

فقد عبّر الشاعر "رابح ظريف" عن الظروف السياسية في مصر سنة 2011م وهذا ليس بالزمن البعيد، فهو عاش تطورات تلك الثورة في ذاك الوقت بكل تفاصيلها وتحولاتها، وهذا الأمر ليس غريبا

[1] : رابح ظريف، ديوان إلى وجهي الذي لا يراني، ص 76، 77.

فلطالما كانت للثورات والظروف السياسية والتاريخية دوافع قوية للإبداع سواء في العالم الغربي أو العربي، فالشاعر يحاول مسايرة الظروف والسجن يصور الألم والأوجاع في قصائد شعرية.

إنّ ما يضاعف شعور المرء بالاغتراب هو افتقاده الأمن داخل وطنه وشعوره أنّه منفصل عن نظام السلطة، الذي يجري تطبيقه في المجتمع، فلا أشدّ رهبة في أن يجيء الخوف ممن يفترض أن يكون المانح لك من مثل رجال الشرطة.

فمظاهر الاغتراب السياسي في الشعر الجزائري لم تقتصر على الوطن فقط، فالشاعر الجزائري تخطى خطى حدود بلده وشارك المواطن العربي مآسيه وما يلاقيه من اضطهاد واستبداد، فكان يتألم لأحواله ويشعر بما يشعر به من غربة واغتراب في ظل تلك الأوضاع السياسية. فقد أصيب الشاعر باليأس بسبب الحالة التي وصل إليها الوطن العربي وما يتعرّض له من إرهاب وأطماع.

قصيدة "قمرٌ في معطفي":

يقول الشاعر:

في اللحظة الأولى من الميلادِ

كانت تحلِّق كالفراشِ العادي

كانت شفاهُ الوردِ مملكةً لها

والنُّورُ كان سفيرَها لوسادي

في اللَّحظة الأولى سمعت غناءها

فتابعت من خلفها أعوادي

كان الشتاءُ .. وكنت أسبقُ معطفي

للقائِها .. مستسلما لعنادي[1]

يتحدّث الشاعر عن ذاته التي شبهها بالحرية التي تولد مع الإنسان بالفطرة منذ اللّحظة الأولى، فكل ما يتعرض له الفرد في الواقع والمجتمع إلّا أنّه في الأخير يستسلم لذاته الأصلية أي الحقيقية، يقول "فروم": "هي الذات الفريدة الغير قابلة للتكرار، والتي يتسم صاحبها بأنه شخص مفكر، قادر على الحب والإحساس والإبداع، مبدع لما يقوم به من أفعال"[2]. فالذات تؤدي دورا جوهريا في الحياة، وهي تمثل الوجود المثالي الذي ينبغي أن يكون عليه الإنسان.

يقول أيضا:

سافرت وهي مقيمة في معطفي

كانت تجوع معي وكانت زادي

سافرتُ قبلتي الجهاتُ جميعُها

وجميع أقطارِ البلاد بلادي

سافرتُ حيثُ نسيتُ أوَّلَ بسمةٍ

يا دمعَةَ القمرِ الخَفِيّ البَادي[3]

[1] : رابح ظريف، ديوان إلى وجهي الذي لا يراني، ص 81.

[2] : ريتشارد شاخت، الاغتراب، ت: كامل يوسف حسين، مؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ط 1، 1980م، ص 132.

[3] : رابح ظريف، ديوان إلى وجهي الذي لا يراني، ص 82.

فالذات الحقيقية التي يتحدّث عليها الشاعر هي الذات التي تنتقل معه من مكان إلى آخر تتأثّر أحيانا وتتغرب معه، لكنّها تبقى ملجأه الوحيد في غربته. حتى أنّه يعتبرها كل ما يملك فيخضع لها تاركا كل شيء وراءه. يقول:

هي لهفتي.. سمّيتها حرّيتي

ورفعت فيها راية الأجدادِ

وقفت على قلقي كأنّ سماءها

شوقي لها.. وحدودها أبعادي[1]

من الواضح أنّ الشاعر تعز عليه ذاته كثيرا حتى أنّه يعتبرها حريته التي أزاحت عليه كل قيود الاغتراب سواء الاجتماعية أو الروحية أو السياسية، ترجع ذلك لعدّة عوامل نذكر من بينها:

❖ **الشعور بزيف الواقع:**

" يعني شعور الفرد المغترب أن العالم المحيط به غير حقيقي بل زائفا وأنّ الحقيقة ضائعة، والشعور أنّ هناك مسافة نسبية بين الفرد والآخرين والرغبة في الهجر والرحيل إلى مكان بعيد واعتزال الآخرين، هذا كله ناتج عن تناقض وجهة نظر الفرد مع المحيطين به من أفراد مجتمعه، والشعور بعدم التكيف فكريا أو عقائديا مع المحيط الخارجي.

[1] : رابح ظريف: ديوان " إلى وجهي الذي لا يراني" ص 83.

❖ **الاغتراب عن الآخر:**

يعني عدم الشعور بالحب والود اتجاه الآخرين، والشعور أنّ الماديات سيطرت على العالم فألغت الوجدانيات، وبذلك يسود الشعور بأنّ الآخرين لا يكترثون بالمشاعر الشخصية والأحاسيس الشيء الذي يدفع بالفرد بالعزلة سواء من مجتمعه أو حتى من أقرب الناس إليه ويتّخذ من ذاته الملجأ الوحيد."[1]

قصيدة "حكمة المجرى":

من صرخَةِ الميلادِ.. للأكفانِ

لي عفّةُ الكرسيّ في السّلطانِ

لي حكمةُ المجرى يَسيرُ بنهرِهِ

للبحر.. دونَ قيادةِ الربّانِ

أنا هكذا في الحبّ .. أشبهُ ركعةً

لمْ يكتملْ بختامِها إيماني

من حاجتي لله.. حتّى رغبتي

في الصّمتِ أركضُ حافيَ الأوطانِ[2]

[1] :سنوساوي عمارية الاغتراب في الشعر الصوفي الجزائري ،مرجع سابق ص،56،55.

[2] : رابح ظريف، ديوان إلى وجهي الذي لا يراني، ص 85.

اغتراب الوطن عن الشعراء يشكل حيزا كبيرا في وجدان الشاعر، وفي هذه القصيدة يتحدث الشاعر عن اغتراب وصل إلى حد المأساة حيث استعمل ألفاظا تدل على الضعف والانهيار (صرخة، الأكفان)، كما أنّه لم يجد حلا إلّا اللجوء إلى الله بنفس مقهورة ومغلوبة أمرها ترجو خلاصا من ربّها (من حاجتي لله...).

يقول أيضا:

بحثًا عليكَ .. وأنتَ في سجّادَتي

في مَلْمَحي.. ومَلَامِحِ الخِلّانِ

منْ أينَ يا وطني سأبدأُ دَمعتي

من أصلِها في القلبِ.. أم شرياني؟[1]

هذه النجوى أخذت معنى القلق والبحث عن الاستراحة والتخلص من القلق، فألم الاغتراب في وطن الشاعر شديد، يبحث عنه في صلاته وفي ملامحه وحتى في ملامح الأصحاب. فقد تولد الشعور بالغربة في الوطن لدى الشاعر، وهذا بسبب إحساسه بالضياع والخوف.

كما من الواضح عند قراءة الأبيات أن الشاعر وظّف كلمات أبلغ ما تكون في الإيحاء والتعبير عن غربة شاعر في وطنه، فيقول:

ألقيتُ في حِجْرِ الظّلام حجارتي

حتى يضيء الليل من مرجاني

[1] : رابح ظريف: ديوان "إلى وجهي الذي لا يراني"، ص 86.

وغسلت طين الروح من أشواقه

حتى أعدل داخلي وجداني

ووقفت بين طريقتي في حبه

وطريقه في الحب والإيمان[1]

لقد كان شعر وأغاني الوطن بالنسبة للشاعر الطريق للهروب والتخلص من الظلام بعدما لم يجد مكانا يحتويه، حتى وطنه أنكره لم يعد يحتويه.

قصيدة "لن أجرّ العربة" (ما لم يقله البوعزيزي للشرطية):

القصيدة مجزأة إلى قسمين:

1. **<u>محاولة أولى لحوار أخير</u>**

لَمَّا اقتربتِ من حرائقي

ابتسمتُ ..

قلتُ يا ملامحي تجمّعي

وارتكبي حماقة السلامْ

أردتُ أنْ أكلّم الرئيسَ في شرطيّة

وأنْ يكونَ الحبُّ سيّدَ الكلامْ

جمعتُ كلّ حزنِ الكونِ في تنهيدة

سلّمتُها لغيمةٍ جائعةٍ[2]

[1] : رابح ظريف، ديوان إلى وجهي الذي لا يراني، ص 87.

[2] : المصدر نفسه، ص 91.

الشاعر هنا يتحدث باسم شخصية البوعزيزي. فمن يكون البوعزيزي؟ "هو طارق محمد البوعزيزي من مواليد 1984"[1]، هو شاب تونسي قام يوم الجمعة 17 ديسمبر 2010 بإضرام النار في نفسه أمام مقر ولاية سيدي بوزيد احتجاجا على مصادرة السلطات البلدية في مدينة سيدي بوزيد لعربة كان يبيع عليها الخضار والفواكه لكسب رزقه، وللتنديد برفض سلطات المحافظة قبول شكوى أراد تقديمها في حق شرطية "فادية حمدي" التي صفعته وقالت له أمام الملأ: (بالفرنسية: Dégage) أي ارحل. "فأصبحت هذه الكلمة شعار الثورة للإطاحة بالرئيس وكذلك شعار الثورات العربية المتلاحقة"[2]، أدى ذلك لانتفاضة شعبية وثورة دامت قرابة الشهر أطاحت بالرئيس التونسي "زين العابدين بن علي"، أما محمد البوعزيزي فقد توفي بعد 18 يوم من إشعاله النار في جسده.

أضرم على الأقل خمسون مواطنا عربيا النار في أنفسهم لأسباب اجتماعية متشابهة تقليدا لاحتجاج البوعزيزي، أقيم تمثال تذكاري تخليدا له في العاصمة الفرنسية باريس.

هي قصة حزينة لذلك العامل البسيط الذي لا يملك سوى عربة خضر وفواكه يجرها من مكان لآخر طلبا للرزق، لكن تعرض للظلم والقهر من طرف شرطة بلده التي صادرت باب رزقه بسبب ذنب لم يرتكبه، كما أنه تعرض للصفع من شرطية أمام الملأ الشيء الذي جعله في قمة اليأس فكرامته أهينت في بلده، ففي لحظة ضعف شعر بالغربة واليأس والقهر فأضرم النار في جسده وكأن العيش في هذا البلد لم يعد مهما بالنسبة له.

هذه القضية مثلما أثارت الرأي العام أثرت كذلك على نفسية الشاعر الجزائري "رابح ظريف" فهذه الحادثة ليست الأولى ولا الأخيرة، فيصبح القانون الذي عادة ما يبعث بالطمأنينة في نفس الفرد على

[1] : تونس تشيع مفجر الاحتجاجات، الجزيرة نت، تاريخ الوصول 6 يناير 2011م.، نسخة محفوظة 9 يناير على موقع واي باك مشين.www.ar.m.wikipedia.org

[2] : الحوار، تاريخ الولوج 14 يناير 2010، نسخة محفوظة 7 أبريل 2016 على موقع واي باك مشين.

أنه في بلد آمن كل حقوقه محفوظة الدافع الأول للانتحار أو الهجرة من البلد بسبب ما تمارسه القوانين الدولية من احتقار وظلم للفرد البسيط وهذا ما يسمى بالاغتراب السلبي الذي يدفع بالفرد إلى وضع حد لحياته لأن الوضع الذي يعيشه لا يطاق.

2. محاولة ثانية لحوار ناجح

يقول فيها الشاعر:

مهلا .. كأنّك في عينيّ رمشهما

لمّا انتبهتُ ودمع منكِ تحْتهمَا

كأنّني .. وحكاياتي معي .. أثرٌ

لخطّ كفّيكِ .. ما ذنبي؟؟ وخطّهما

لقد أفقتُ وفي عينيك أسئلتي

ضيّعتها .. غيرَ أنّي قد فَهمْتهمَا

الآنَ أجلسُ مرتاحا .. وليس معي

دفءٌ يغطيّكِ .. أو بدرٌ يلفُّهُمَا[1]

يصور لنا الشاعر وار دار بين البوعزيزي ونفسه بعد موته وكأنه الآن يعيش السكينة والراحة بعد أن كان في وطنه ومجتمعه. فيقول أيضا:

[1] : رابح ظريف، ديوان إلى وجهي الذي لا يراني، ص 97.

منذُ انتَمَيْتُ لهذا الكون .. خارطتي

لم تكتملْ .. وحدودي لم تزلْ عدمَا

كأنَّ فيَّ لغاتٍ لا تُطَاوِعُنِي

وَلَوْ تَكَلَّمْتُهَا اِحْتَجْتُ السَّمَاءَ فَمَا

طريقتي في إتِّبَاعِ الشَّمسِ غَامِضَةٌ

ومَذْهَبِي في اخْتِيَارِ النُّورِ مَا فُهِمَا[1]

فهو عاش في عالمه يائسا عاجزا عن تحقيق آماله وأحلامه مات وماتت معه أمنياته، فكانت الحرية الشيء الذي يولد الإنسان بها عبارة عن شيء صعب المنال عند البوعزيزي وأمثاله كثيرون. ومن الواضح تأثر الشاعر الجزائري "رابح ظريف" الكبير بقضية البوعزيزي ما جعله يعيش حوار بين البوعزيزي وذاته.

قصيدة "مَرمرُ الشُّهداء":

حلوَى على سينيَّةِ الشهداء

من سيوزّعُ الحلوى على الشُّهداءْ..؟؟

نزلوا.. كما ارتفعوا.. بطاءً

مثلما حطَّت على أوراقها الأنداءْ

هم أقبلوا بيضا، كأنَّ الله بينهمو يقول لنا

[1] : رابح ظريف، ديوان إلى وجهي الذي لا يراني، ص 98.

همو الأحياءْ[1]

في هذه القصيدة الشاعر يرثي شهداء الوطن باعتزاز وفخر ببطولتهم، فعندما قال (كأن الله بينهمو يقول لنا همو الأحياء) كأنّه اقتباس من القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ أَمْوَاتاً بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُون﴾[2]، فالشهيد جعله الله في منزلة الأنبياء يقتسمون قرب الله في جنات النعيم.

يقول أيضا:

لن يكتب التاريخ

أنّ عيوننا انكسرت

وما ارتفعت لأجل قضيّة

غدنا هنا في الشارع العربي

تكتبه الدماء

بأحرف عربيّة

غدنا هنا

في البحر

في الصحراء..

في أحلامنا وشموسنا المنسيّة

في الأنبياءِ

يحدّثون سماءَنَا

[1] : رابح ظريف، ديوان إلى وجهي الذي لا يراني، ص 101.

[2] : سورة آل عمران، الآية 169.

أن نستحيلَ نجومَها الصيفيّة[1]

التاريخ هو من يعبر عن حياة الإنسان وحياة الشعوب بأكملها، والشاعر هنا يذكر تاريخ نضال الشعوب من أجل نيل الحرية، فرسالته واضحة وهي حبه للوطن واعتزازه بماضيه. كما أنّهم يخص بالذكر الجزائر فقط، وإنما يتحدّث بصفة عامة عن الوطن العربي بسبب أنّ كل الشعوب العربية لم تسلم من الظلم الاستعماري. ويقول أيضا:

سنغيّر الصبّار من أرواحنا

ونقيم فينا وردة الحريّة

سنغيّر التوقيت..

شكل النّص .. معنانا..

نغيّر ذاتَنا العربيَّةْ

سنعيد للآتينَ من أرواحنا

شمسا..

ومن أجْسَادِنا حريَّةْ

هي نغمةٌ

تعبثْ على تلحينها أهدابُنا..

قُدُسِيَّةً..

قُدْسِيّةْ[2]

[1] : رابح ظريف، ديوان إلى وجهي الذي لا يراني، ص 105.

[2] : المصدر نفسه، ص 106.

المتأمل للوضع التاريخي للاستعمار الدخيل على الجزائر خاصة وعلى العالم العربي بصفة عامة، وما صاحبه من أعمال ومحاولات للمسخ والتغريب والقهر والنّهب والتشويه نجم عن ذلك مشاكل وغربة وهموم وأوجاع، فأصبح الشعر انعكاسا صافيا لحاجات الواقع والرغبة في التعبير والحرية، كما أنّه مرآة لأحداث التاريخ، فقد وعى الشاعر لتلك الظروف القاسية التي عاشها الشعب وعبّر عنها في صور تجسّد الصراع الذي يحول دون توافق الإنسان مع محيط الحياة الاجتماعية والنفسية التي يعيشها، لذلك كان القلق النفسي المتزايد نحو الماضي والخوف من المستقبل من مظاهر الغربة وأشكال الاغتراب التي عاشها الإنسان الحديث.

قصيدة "دعاء":

آتيك يسبقني البكاء.. وإنني

يا ربِّ إن لم أخفِه إنسانُ

لي حين أخطأ أن أتوبَ وليس لي

إلاك حين أتوب يا رحمان

كم نمتُ لا أدري أصبحي قهوة؟

أم دمعة لم يكفها الخلانُ؟

وسهرتُ..؟ لا أدري أسوف تضمّني

أحضانُ..؟ أم ستلقُّني أكفانُ[1]

هذه القصيدة عبارة عن دعاء واستبعاد العبد بربه، فهذه حال المؤمن الذي مهما بلغت وحدته ومآسيه ومعاصيه لن يجد إلا الله تعالى العفو الرحيم يقول: ﴿ أُدْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ فباب التوبة مفتوح. فالإنسان جاهل لمستقبله لا يعلمه إلا الله، فلا ننام إلّا بإذنه ولا نستيقظ إلّا بإذنه.

ويقول أيضا في هذه القصيدة:

ربّاه صلّ على نبيّك دائما

ما مرّت اللّحظات والأحيانُ

المصطفى المختار ليس كمثله

ملَك.. وليس كمثله إنسان

سلّم عليه سلامَ ربٍّ واحدٍ

أحدٍ.. له في كلِّ شيء شانُ

ربّاه صلِّ على نبيّك إنّه

برضاك يوم لقائك المزدان[2]

في هذا الجزء الثاني من القصيدة ختمها الشاعر بالصلاة على سيّد الخلق صلى الله عليه وسلم وهو يتغنى بصفاته. فالنبي هو شفيعنا يوم القيامة ولا شفيع لنا غيره، فبهذا الدعاء الشاعر وكأنّه

[1] : رابح ظريف، ديوان إلى وجهي الذي لا يراني، ص 107.

[2] : المصدر نفسه، ص 108.

يخرج من حالة الضعف والحزن والاغتراب الذي عايشه بأنواعه ويجعل من الله ورسوله ملجأ يتضرع إليه بقوله تعالى: ﴿ أَلَا بِذِكْرِ اللهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴾.

من خلال تحليلنا للديوان لاحظنا أنّ أكثر أنواع الاغتراب شيوعا هو الاغتراب الذاتي، هذا النوع من الاغتراب من خلاله ينظر الفرد للآخرين كشيء مستقل عن نفسه بصرف النظر عن طبيعة العلاقات التي تربطه به، ويصاحب هذا النوع من الاغتراب الشعور بالوحدة والعزلة وهذا ما لمسناه في معظم قصائد الديوان، فالشاعر ظل يبحث عن الخلاص من الاغتراب الذي لفّ روحه وقد حول "رابح ظريف" الشعور بالإحباط واليأس الذي يخيم على سماءه إلى إبداع تجلّت فيه التجربة الشعرية موشحة بالظروف الخاصة بالبيئة الجزائرية، وكان لظاهرة الاغتراب في الشعر الجزائري انعكاس ايجابي إذ خلق روحا جديدة ومتطورة عبر الزمن، فهو لم ينغلق بل كان النص ملامسا لأوجاع الروح وتطلعاتها إلى السلام.

أما ما لاحظناه كذلك من خلال عدد قصائد الديوان ،فقد تطرقنا إلى دراسة أربعة عشر قصيدة وجدناها في ديوان " إلى وجهي الّذي لا يراني"، بينما ما هو معروف و متداول عن هذا الديوان الذي صدر عن أكاديمية الشعر في لجنة إدارة المهرجانات و البرامج الثّقافية والتراثية بأبو ظبي يحتوي على تسعة عشر قصيدة.

خـــاتمة

لم تكن ظاهرة الاغتراب خاصة بجيل دون الآخر ولا وقفا على عصر دون عصر، فقد لازم الاغتراب الإنسان منذ القدم إلى عصرنا الحالي.

وقد ظل الاغتراب مرافقا للإنسان حتى غدا سمة من سمات حياته المعذبة إذ عانى من عذاب الوحدة والعجز عن الإتصال بالآخرين مثلما عجز عن كبح اندفاعه وإحباطاته الداخلية والخارجية فانفصل عن ذاته كما انفصل على الآخرين، وظل يعاني من بعد واقعه عن تصوره المثالي للحياة والناس، لهذا انسلخ عن مجتمعه وعاش في عزلة كئيبة يصل به الأمر إلى أن يفقد مغزى الحياة.

وعند دراستنا هذه الظاهرة في الشعر الجزائري المعاصر رأينا أن هناك عدة عوامل ساهمت في تفشي هذه الظاهرة في نفوس الكثير من الشعراء.

ولقد توصلنا إلى جملة من النتائج التي تتعلق بالاغتراب بصفة عامة، والاغتراب في الشعر الجزائري بصفة خاصة يمكن تلخيص هذه النتائج في النقاط التالية:

- من خلال دراسة مصطلح الاغتراب وجدنا أن لا فرق بين الغربة الاغتراب في اللغة، بينما في المصطلح تحافظ الغربة على معناها فهي نفس المكان، أمّا الاغتراب فهو يتعلّق بالنفس لذلك تتعدد مفاهيمه.
- كذلك وجدنا الاغتراب في اللغة يعني الذهاب والتنحي، أما في الاصطلاح فمعناه يتغيّر حسب كل مجال من المجالات، فالاغتراب في المجال الديني يختلف عن الاغتراب في المجال الفلسفي، كما أن دراسة هذه الظاهرة عند العرب اختلفت عن دراستها عن الغرب.
- كما وجدنا من خلال دراستنا للشعر الجزائري أنواعا مختلفة من الاغتراب، فحاولنا دراسته من الناحية النفسية (الذات) والاجتماعية والسياسية والثقافية، حيث تجسّدت هذه الأنواع في الديوان الذي اخترناه كنموذج لدراستنا "إلى وجهي الذي لا يراني" "رابح ظريف"، فوجدنا أن شعره كان

خلاصة حياته وتجاربه ومعاناته وترجمة حقيقية للتفاعلات النفسية التي مرّ بها في مراحل معيّنة من حياته.

- لم يكن الاغتراب في الشعر الجزائري اعتباطيا أو تقليدا موضوعاتي، بل كان حقيقة معاشة عن وعي وإدراك نتيجة تأثرات ذاتية أحاطت بالشاعر وواقع شعبه، تعبيرات وأحداث مسّت الجانب السياسي والاجتماعي والاقتصادي والثقافي، حيث كان للسلطة السياسية أهمية كبيرة في تفاقم ظاهرة الاغتراب، ومعاناة الفرد والمجتمع وهذا ما توضّح لنا جليا في الديوان المدروس.
- تعدّدت أنماط الاغتراب في الشعر الجزائري باعتبارها أخد محصّلات علاقة الشاعر بذاته ومجتمعه ووطنه، فالاغتراب ناتج عن البيئة العامة ويتغير بتغير الظروف التي تحاصر الفرد .
- من خلال دراستنا للديوان من بدايته – العنوان – إلى آخر ما تلفظ به الشاعر فيه كان عبارة عن معزوفة حزينة تحكي عن ظاهرة الاغتراب بأنواعه.
- لم يقف الشاعر الجزائري موقف المتفرج تجاه اغترابه، وإنما سعى إلى قهره والتمرّد على ما كان وراء توليده لديه، لذلك ظلّ مسكونا بهاجس التغيير والسعي للعيش في مجتمع خالي من المشاكل.

وفي الأخير نأمل أن نكون قد لامسنا ظاهرة الاغتراب ومظاهره في الشعر الجزائري، ورغم ذلك فلا زال الموضوع في رأينا يحتاج إلى بحث أوسع وأعمق نظرا إلى شساعته وتنوّع مفاهيمه.

ملحق

السيرة الذاتية للشاعر الجزائري "رابح ظريف":

لم نستطع إيجاد مراجع أو مصادر تناولت سيرة الشاعر رابح ظريف بصفة عامّة، فكل ما تحصلنا عليه كان ما تناولته الصحف أغلب والجرائد الإلكترونية، أو معلومات من موقع جامعة المسيلة:

❖ **ميلاده ودراسته:**

- "من مواليد 1970.
- التعليم الابتدائي والإكمالي والثانوي بعين الخضراء.
- الدراسة الجامعية سطيف، ليسانس، أدب عربي.

❖ ***الوظيفة:***

صحفي بإذاعة المسيلة الجهوية.

❖ ***الأعمال الشعري المطبوعة:***

- العودة إلى الجنة 1997م.
- فاكهة الجمر 2002م، منشورات اتحاد الكتاب الجزائريين.
- الشكل في الغمام 2007م، منشورات عاصمة الثقافة العربية.
- قديشة، رواية.
- إلى وجهي الذي لا يراني، مجموعة شعرية 2013م.

❖ ***التكريمات والجوائز:***

- جائزة رئيس الجمهورية "علي معاشي"، المركز الثاني 2007م.
- جائزة "رشيد ميموني"، المركز الأوّل 2006م.
- جائزة القدس عاصمة الثقافة العربية، المركز الثاني 2010م.

- لقب شاعر الرسالة بالبرنامج التلفزيوني "أمير الشعراء" بأبوظبي 2008م.
- تكريم المقهى الأدبي ببرج بوعريريج 2006م
- تكريم والي ولاية المسيلة 2006م.
- تكريم والي ولاية سطيف 2003م.
- تكريم حاكم الشارقة 2002م.

إضافة إلى تكريم عديد النوادي الأدبية والجمعيات الثقافية في الجزائر، وكذا تكريمات شرفية من المنتديات الأدبية.

❖***الحضور والمشاركات:***

أهم الفعاليات الشعرية الجزائرية منذ 1996م:

- المشاركة في برنامج 'أمير الشعراء' بأبوظبي.
- الملتقى العربي الشعري 'الجزائر أنشودة المجد' 2002م.
- عكاظية الشعر العربي في طبعاتها الأربعة: 2007م، 2008م، 200م، 2010م.
- ملتقى الشباب العربي، الشارقة 2002م.
- الأسبوع الثقافي الجزائري في جمهورية مصر، القاهرة 2009م.
- الملتقى الدولي ' الكتابات العربية حول الثورة الجزائرية' الأوراسي 2002م.

بالاضافة إلى المساهمة في تنظيم عدة ملتقيات أدبية:

- ملتقى النيلين للشعر العربي.
- شاعر الحرية بقطر.
- مهرجان المجد بالبصرة.
- يوم بغداد الشعري.

– يوم القدس الشعري بتونس".

❖***الحضور الإعلامي:***

– لقاءات عبر عديد الحصص والبرامج التلفزيونية.

– حوارات في عدّة صحف وطنية وعربية.

– تناول المجموعات الشعرية المطبوعة في عدة بحوث جامعية.

– إضافة إلى نشر أهم القصائد في الصحف الوطنية والعربية"[1].

"في سنة 2017م تم تعيين "رابح ظريف" من طرف وزير الثقافة "عز الدين ميهوبي" مديرا للثقافة بولاية المسيلة، بعدما اشتغل عدة وظائف كان آخرها مديرا للمتحف 'ناصر الدين الديني' ببوسعادة، وهو ما أعطاه دفعا قويا من خلال برمجة العديد من النشاطات الثقافية"[2].

"وفي جانفي 2020م أنهت وزارة الثقافة مهام مدير الثقافة "رابح ظريف" حسب ما علم لدى مصالح ولاية المسيلة بسبب 'الإهانة والإساءة' لأحد رموز الثورة التحريرية 'عبان رمضان' في منشور له على الفايسبوك، الأمر الذي جعل محكمة الجنح بالمسيلة تقضي بتسليط 6 أشهر حبسا نافذا ضدّ "رابح ظريف" بتهمة عرض لأنصار الجمهور منشورات من شأنها الإضرار بالمصلحة الوطنية وكذا المساس بسلامة ووحدة الوطن، بسبب المنشور الذي نشر في موقع التواصل الاجتماعي"[3].

"بعدها تم تأييد الحكم المستأنف وتعديله من 6 أشهر إلى 3 أشهر ليتم الإفراج عنه في أفريل 2020م."[4]

[1] : السيرة الذاتية لرابح ظريف: www.dspace.univ-msila.dz/

[2] : :يومية الشعب الجزائري: المسيلة، عامر ناجح،www.ech-chaab.com

[3] : :وكالة الأنباء الجزائرية :أدرج يوم الإثنين:2 يناير 2020،www.aps.dz

[4] : مقال في موقع الجريء:نُشر بواسطة نور الهدى العمري،27 أفريل،2020 "رابح ظريف حر طليق":/www.eljarie.com

قائمة المصادر والمراجع

المصـــــادر:

1. القرآن الكريم.
2. العهد القديم، سفر المزامير، المزمور المائة والتاسع عشر.
3. رابح ظريف، ديوان إلى وجهي الذي لا يراني، المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر والإشهار، وحدة الطباعة الرويبة، 2013م.
4. حسن السندوبي، أعيان البيان صبح القرن 3 إلى يومنا هذا، المطبعة الجمالية بحار الروم، مصر، ط1، 1914م.
5. محمود شاكر، التاريخ الإسلامي التاريخ المعاصر، بلاد المغرب، المكتب الإسلامي، ط2، 1996م.

المراجـــــع:

1. أبو القاسم سعد الله، دراسات في الأدب الجزائري، دار رائد للكتابة ،الجزائر، ط5، 2007م.
2. إحسان عباس، اتجاهات الشعر العربي المعاصر، عالم المعرفة، سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1978م.
3. امرؤ القيس، ديوان امرؤ القيس، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ضبطه وصححه: مصطفى عبد الشافعي، د ط، دت.
4. عبد الله الركيبي، دراسات في الشعر العربي الحديث، تقديم صالح جودت، دار الكتاب العربي، د ط، د ت.
5. أمثال أحمد السبيعي، تقديم كتاب "الغربة والحنين في الشعر الأندلسي" لفاطمة دحدح ، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ط1، 1993م.

6. جرير بن عطية جذيفة، الديوان، تح: رمزي مكاوي، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ط1، 1929م.

7. خشروم عبد الرزاق، الغربة في الشعر الجاهلي، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، دط ، 1982م.

8. خليفة عبد اللطيف محمد، دراسات في سيكولوجية الاغتراب، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، دط، دت.

9. دكتور يحي الجبوري، عميد البحث العلمي، الحنين والغربة في الشعر العربي، الحنين الى الأوطان، جامعة اريد الاهلية: الأردن، ط1، س 1428هـ/ 2008م

10. عبد الحميد زوزو، نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر المعاصر (1830_1900)، المؤسسة الوطنية للكتاب، دط، دت.

11. فريد امعضشو، الاغتراب في الشعر الإسلامي المعاصر، ط1، 2015م.

12. محمد ناصر، الشعر الجزائري الحديث، اتجاهاته وخصائصه الفنية، دار الغرب الإنساني، بيروت، لبنان، ط1، 1985م.

13. نيقولاي برديف، نصوص فلسفية، العزلة والمجتمع، تر: فؤاد كامل عبد العزيز، مراجعة علي أحمد أدهم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، دط، 1982م.

14. لزهر مساعدية ،نظرية الاغتراب من المنظورين العربي و الغربي ،دار خلدونية للنشر و الطباعة،الجزائر ،ط1، 2013.

15. صلاح الدين أحمد الجماعي ،الاغتراب النفسي و الاجتماعي و علاقته بالتوافق النفسي و الاجتماعي، عمان، دار زهران للنشر و الطباعة،ط1، 2010م.

16. حليم بركات ،الاغتراب في الثقافة العربية متاهات الانسان بين الحلم و الواقع ،مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت،لبنان،ط 1، 2002.

17. محمود سليم هياجنة الاغتراب في القصيدة الجاهلية دار الكتاب الثقافي ،الأردن، دط،2005م.

دراسات سابقة:

1. سنوساوي عمارية: الاغتراب في الشعر الصوفي الجزائري، مذكرة الماجستير، جامعة أبو بكر بلقايد، سنة 2013/2012.

2. فتحي رشيد محمد شديفات ،الاغتراب في شعر الصعاليك واللصوص حتى نهاية العصر العباسي الأول: رسالة ماجيستر : ، تحت إشراف الدكتور محمود درابسة جامعة اليرموك سنة 2006.

3. موسى كراد، الاغتراب فالشعر الجزائري الحديث في العقدين الاخرين من القرن العشرين، رسالة دكتوراه، جامعة الحاج لخضر، باتنة، السنة الدراسية 2017/2016م.

4. كمال فنينش ،البناء الفني في الشعر الجزائري المعاصر ،مرحلة التحولات، (2000،1988)، مذكرة ماجيستير جامعة قسنطينة،2010،2009.

المعاجم:

1. ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط3، 1994م.

2. الخليل بن أحمد الفراهيدي، معجم العين، المجلد 3، تحقيق: عبد الحميد الهنداوي، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2003م.

الجرائد الإلكترونية و المجلات :

1. أحمد أبو زيد، الاغتراب، مجلة عالم الفكر، الكويت، ع 1، مج 10، أفريل ماي يونيو، 1979م.

2. الحوار، تاريخ الولوج 14 يناير 2010، نسخة محفوظة 7 أبريل 2016 على موقع واي باك مشين.

3. تونس تشيع مفجر الاحتجاجات، الجزيرة نت، تاريخ الوصول 6 يناير 2011م.، نسخة محفوظة 9 يناير على موقع واي باك مشين.

4. جريدة الفجر، نشر بواسطة حسان مرابط في الفجر، يوم 31 – 08 – 2012.

5. صحيفة الإتحاد، الإمارات، الثلاثاء 22 يوليو 2014.

6. مظاهرات غضب بمصر الثلاثاء، موقع الجزيرة 204– 01– 23 / نسخة محفوظة، 04 مارس 2011م على موقع واي باك.

7. قيس النوري، الاغتراب اصطلاحا و مفهوما وواقعا، مجلة عالم الفكر، العدد1، 1979م.

8. عبد المالك ضيف، الأثر، مجلة الآداب و اللغات ،جامعة ورقلة ،الجزائر،العدد04،ماي2005.

الـفهرس

الفهرس:

المحتويات	الصفحة
مقدمة	أ
مدخل: بين الغرب والاغتراب	6 – 11
الفصل الأول: مفهوم الاغتراب، عوامله وأنواعه	13 – 42
1. مفهوم الاغتراب	13
• الاغتراب عند الفلاسفة	14
• الاغتراب في المفهوم الديني	15
• الاغتراب في الشعر العربي	18
2. أنواع الاغتراب	22
• الاغتراب الذاتي	22
• الاغتراب الاجتماعي	24
• الاغتراب المكاني	25
• الاغتراب الثقافي	26
• الاغتراب الديني	27
• الاغتراب السياسي	30
3. الاغتراب في الشعر الجزائري	32
• الشعر الجزائري الحديث	33
• الشعر الجزائري المعاصر	36
الفصل الثاني: تجلّيات الاغتراب في ديوان "إلى وجهي الذي لا يراني" للشاعر "رابح ظريف"	44 – 80
ديوان "إلى وجهي الذي لا يراني"	44
1. قراءة العنوان	45
2. أنواع الاغتراب في ديوان "إلى وجهي الذي لا يراني"	46
• قصيدة "التفاتة"	46
• قصيدة "إلى وجهي الذي لا يراني"	49
• قصيدة "نداء الوريد"	51
• قصيدة "نوتات"	53
• قصيدة ""كلام في الحب والندم"	55
• قصيدة "فوضى"	57

• قصيدة "قلق"	60
• قصيدة "رجل كالحرير"	62
• قصيدة " الليل يغيّر رأيه في الظلام"	64
• قصيدة "قمر في معطفي"	67
• قصيدة "حكمة المجرى"	70
• قصيدة "لن أجر العربة"	72
• قصيدة "مرمر الشهداء"	75
• قصيدة "دعاء"	78
خـاتمـة	82
مـلحـق ***السيـرة الذاتيـة للشـاعر الـجزائـري "رابح ظريـف"***	85
قـائمـة المصـادر والمـراجع	89
الـفهرس	94